

صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها الأستاذ  
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة  
٣٠ في مصر والسودان  
٥٠ في الممالك الأخرى  
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة  
شارع عبد العزيز رقم ٣٦  
العنة الخضراء - القاهرة  
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

# الحرورية

مجلة أسبوعية للقصص والبرق

تصدر مرتين في أول كل شهر وفي نصف

العدد التاسع ٢٢ ربيع الأول سنة ١٣٥٦ - ١ يونيو سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

من أحسن القصص



## فهرس العدد

| صفحة |                                                                                    |
|------|------------------------------------------------------------------------------------|
| ٥٢٢  | الموسوم ... ... لحي دي موباسان ... بقلم أحمد حسن الزيات ...                        |
| ٥٢٦  | من غير عنوان ... ... للقصص الروسي تشيرلسكوف ... بقلم الأديب محمود البدوي ...       |
| ٥٢٩  | غرام ادوارد الثالث ... ... مسرحية انجليزية ... بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي ...    |
| ٥٣٤  | مات الملك عاش الملك ... ... لماري كوايردج ... بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد ... |
| ٥٣٩  | يوميات نائب في الأرياف ... ... صور مصرية ... بقلم الأستاذ توفيق الحكيم ...         |
| ٥٤٥  | الحيانة ... ... أفصوصة مصرية ... بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني ...       |
| ٥٥٥  | ليلة ممطرة ... ... أفيلكس براون ... بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب ...               |
| ٥٦١  | القلب المحطم ... ... لواشنطن ارفنج ... بقلم الأديب حسين محمد كامل ...              |
| ٥٦٥  | اعترافات في العصر ... ... لألفريد دي موسيه ... بقلم الأستاذ فليكس فارس ...         |
| ٥٧١  | الأوديسة ... ... لهوميروس ... بقلم الأستاذ دريني خشبة ...                          |
| ٥٧٧  | سر أبي الهول ... ... لموريس رستانت ... بقلم الأستاذ خليل هندواي ...                |



ينظر إليهم عن عرض نظر الحسد والحقد . وربما  
قضى أعصار أيام العطلة الطويلة بعد هؤلاء واحداً  
بعد واحد ، ثم يقول لنفسه : « ما أكثر من لقيت  
منهم بين شارع السالدين وشارع دروا »

كان يمشى ويبد الخطل بفحص ملابس الناس  
بمعينين قد مررتا على تمييز تلك النقط الحمراء من بعد ،  
حتى إذا بلغ الغاية من نزته كان عجبته من عدد  
الموسومين قد بلغ الغاية من نفسه : « ثمانية أو سبعة  
من رتبة ضابط ، وتسعة عشر وساما من رتبة فارس .  
ذلك كثير ! وإن من السفه أن تبذر الحكومة هذا  
التبذير في الأوسمة على هذه الصورة . تأمل فطاعة الحال  
إذا لقيت مثل هذا العدد في الرجمة ! » ثم يعود  
أدراجه وهو يهوى في مشيه ؛ فإذا شغلته زحمة الناس  
عن الفحص فأذهلته عن واحد من الموسومين هاج  
هائج وانتفخ سحره

كان يعرف الأحياء التي يكثر فيها أولو الأوسمة ؛  
فهم كثار العدد في شارع ( باليه رويال ) ؛  
وعدهم في شارع الأوبرا أقل منه في شارع  
( دلايه ) ؛ وهم على عيني ( البشار ) أكثر منهم  
على يسراه . ثم هم يفضلون بعض المقاهي والملاهي  
على بعض ، وكلما رأى السيد سكرمنت شرذمة من  
ذوى الشمع الأبيض يقفون على طوار الشارع

في الناس من يولد ومعه غريزة متسلطة ،  
فلا يكاد يبلغ حد التفكير والتعبير حتى تتحرك في  
شعوره وتصرخ في دمه . فالسيد سكرمنت لم يجل  
في ذهنه منذ طرأ سنة إلا فكرة واحدة : هي  
أن يكون موسوماً ، أو حامل وسام . فكان وهو  
في حدائنه يحمل وساماً من الزنك كما يلبس الأطفال  
قبعات الجنود ، ثم يقدم يده في عظمة وزهو إلى  
معمونة أمه في الطريق وقد رفع صدره الصغير المزدان  
بالشريط الأحمر والنجمة المعدنية . وبعد أن درس  
دراسة سقيمة عقيمة فشل في امتحان البكالوريا .  
ثم التاث عليه أمره ولم يدر ما يصنع ، فتوسل بفناه  
إلى أن تزوج من فتاة جميلة . ثم عاش هو وهي في  
باريس عيش السراة من الحضر بلا بسان عالمهما  
ويتزلان عالم الناس ، ويلهجان بصداقة ضابطين  
من ضباط الفرق ، ويفخران بمعرفة عضو من أعضاء  
مجلس النواب يمكن أن يصير يوماً ما وزيراً . ولكن  
الفكرة التي سكنت رأس السيد سكرمنت منذ أيامه  
الأولى لم تزل حديث أمانيه ولبال صدره ؛ فهو  
لا ينفك فريسة للألم الملح لأنه لا يملك الحق في أن  
يحمل على رذنجوته ذلك الشريط الصغير الملون .  
وكان منظر الموسومين ( Décorés ) الذين يلقاهم في  
الشارع الأكبر بلوع فؤاده ويوقد صدره ؛ فهو

فيربكون المرور ، قال لنفسه : « هاك ضباطاً من وسام جوقة الشرف : » ثم تملكه الرغبة في أن يتقدم إليهم فيسلم عليهم

ثم لاحظ أن لضباط هذا الوسام مشية تختلف عن مشية فرسانه ، وأن أوضاع هاماتهم على عواتقهم تختلف فيهم عنها في الناس ، لأنهم يشعرون أن لهم باسم الحكومة اعتباراً أعلى وخطراً أجلاً . ثم تأخذه في بعض الأحيان سودة من الغضب الاشتراكي الحاقد على الموسومين . ثم يرجع إلى منزله وقد هيجت رغبته رؤية الأوسمة ، كما تهيج رؤية الأظعمة شهوة الجائع ، فيقول في صوت قوى : « متى نتخلص من هذه الحكومة القذرة ؟ » فتسأله زوجته وقد فجأها هذا التصريح : ماذا بك اليوم ؟ فيجيبها : « إن مابى هو السخط على الجور الذى يقترب في كل مكان . لعمرى إن الشيوعيين على حق ! »

عاد بعد الغداء نخرج ، وأخذ يتأمل معارض الأوسمة في بيوتها ويتوسم علائها المختلفة الأشكال والألوان ، فود لو أنه ملكها جماء ، وأنه أصبح على رأس موكب غم في سدر قاعة حاشدة ، تتلأأ على صدره هذه الأوسمة ، وقد رُكبت أنواطها المرفوفة واحداً فوق واحد على حسب درجاتها متفاوتة ، ثم يمشى مشية النافع الوقور وهو يتوهج توهج الشمس في لجب من همس الإعجاب وهتاف التجلية

ولكنه وأأسفاه لا يملك لقباً من الألقاب يخوله الحق في وسام من الأوسمة : إن وسام اللجيون دونور ، أو جوقة الشرف ( كما قال لنفسه ) بعيد النال عن رجل لا يؤدى وظيفة عامة . فهلا يحاول أن ينال درجة من درجات الأكاديمية ؟ ولكنه لا يعرف السبيل إلى ذلك فتحدث به إلى امرأته ؛ فقالت له في عجب

ودهشة : « درجة من درجات الأكاديمية ؟ وماذا فعلت حتى تبلغ ذلك ؟ فأجابها في حدة وغضب : « إفهمى ما أريد . إلى أبحث فيما ينبغي أن أعمل ! إنك غبية في بعض حالاتك » فابتسمت الزوجة الحسنة وقالت : صحیح ! إنك على حق ، ولكنى لا أعرف أنا ماذا ينبغي ! » فسندت للرجل فكرة فقال : « لعلك إذا كلمت النائب ( روسلين ) في هذا الموضوع ظفرت منه بنصيحة ثمينة . أنا كما تعلمين لا أجرو على أن أبدأ بهذا الحديث . ذلك شيء دقيق يخرج ؛ فإذا صدر عنك كان طبيعياً لا حرج فيه نزلت السيدة سكرمنت على مقترح زوجها ، وذهبت إلى النائب روسلين فوعدها أن يكلم الوزير . ولما احتنه السيد سكرمنت قال له النائب : لا بد أن يقدم طلباً يسرد فيه شهاداته ودرجاته . شهاداته ودرجاته ؟ ؟ إنه لم يحمل من ذلك شيئاً حتى البكالوريا . على أنه مع ذلك عكف على العمل وشرع يؤلف رسالة عنوانها : ( حق الشعب في التعلم ) ، ولكن الأفكار لم تواته فمجز عن إتمامها . ثم أخذ يبحث عن موضوع أسهل منالاً وأقرب مصدراً ؛ فخرى على باله هذه الموضوعات متعاقبة : « تعليم الأطفال بالنظر » ويريد بذلك أن ينشأ في كل حى من الأحياء الفقيرة مسارح بالمجان للأطفال يحشرهم فيها والدوهم فيتلقون بها مبادئ المعارف البشرية عن طريق الفوانيس السحرية . تلك دروس حقيقية يعلم النظر فيها المخ ، فتبقى الصور منقوشة على لوح الذاكرة ، ويصبح العلم منظوراً بهذه الطريقة . ولا تجدد أسهل منها في تعليم التاريخ العام ، والجغرافيا ، والتاريخ الطبيعى ، وعلوم النبات

وقدمه الى بعض الجماعات العلمية التي تعالج على الأخص مسائل العلم الفامضة ، رجاء أن يدرك من ورائها بعض الشرف ، ثم أوصى به رجال الوزارة وفي ذات يوم كان النائب المحترم يتفدى عند صديقه السيد سكرمنت ( فقد دأب منذ شهور على أن يأكل عنده ) فقال له في صوت خافت وهو يصاخه : « لقد ظفرت لك اليوم بنعمة كبيرة : حملت لجنة الأعمال التاريخية على أن تكلفك خدمة ، فقاط بك أن تقوم بيمض الأبحاث في مكتبات فرنسا المختلفة »

لم يكذب السيد سكرمنت يسمع هذا الخبر حتى استرخت قواء فلم يستطع أن يأكل ولا أن يشرب . ولم يمر على هذا الحديث أسبوع حتى كان الرجل يضرب في مدن فرنسا ، يزور المكاتب ، ويتصفح الفهارس ، ويقلب المخطوطات . وبلغ به اللطاف مدينة ( روان ) فحدثته نفسه أن يركب إلى باريس ليرى زوجته ، فقد مضى على مفارقتها إياها أسبوع ركب قطار الساعة التاسعة فبلغ منزله منتصف الليل . وكان لديه مفتاح البيت ، فدخل وهو ساكت الصوت صامت الخطى ، يرجف من السرور ويتساف لذة المفاجأة .

كانت امرأته محبوسة في غرفتها فيا للأسف ! نادى الزوج زوجته من وراء الباب : « يا جان ! يا جان ! إنه أنا ! »

لا شك أن جان قد فزعت وريمت ، لأنه سمعها تثب من فوق السرير ، وتحدث وحدها كما يتحدث النائم في الحلم ؛ ثم أسرع إلى مقصورة زينتها ففتحتها ثم أغلقها ، وجالت في الغرفة مراراً حافية القدمين مريمة الخطى ، فصدمت بعض الأثاث

والحيوان والتشريح الخ . ثم طبع هذه المذكرة وأرسل منها نسخة إلى كل نائب ، وعشرا إلى كل وزير ، وخمسين إلى رئيس الجمهورية ؛ ثم بعث إلى كل صحيفة باريزية بعشر ، وإلى كل صحيفة إقليمية بخمس

ثم عالج موضوع المكتبات المتنقلة فاقترح أن تسير الحكومة في الشوارع عربات صغيرة كعربات البرتقال موقرة بأشبات الكتب ، ونجعل لكل ساكن في كل حي حقا في استئجار عشرة كتب في الشهر بصنيتين . وحجته في ذلك أن الشعب لا يشغل باله ولا ينفق ماله إلا في اللهو ؛ وما دام الرجل لا يذهب إلى التعليم فليذهب التعليم إليه على أن هذه الأبحاث لم يعبأ بها لسان ولم يعبج بها فكر ؛ ولكنه مع ذلك قدم طلبه ، فأجابه بأنهم علموه ورقموه ، فلم يبق لديه شك في الفوز . وانتظر ثم انتظر ، فلم يرد على انتظاره شيء . فعقد النية على أن يسمى للأمر بنفسه ، فطالب الاذن على وزير المعارف ، فاستقبله في مكتب الوزير موظف حديث السن ولكنه رصين المظهر ، تمر أنامله على نضد من الأزرار الكهربائية كما تمر يد العازف على مضرب البيان ، فيدعو الحجاب والعلمان والمكتبة ؛ فأكد له هذا الموظف أن مسأله تسير قدماً في طريقها الواسل وأشار عليه أن يستمر في أبحاثه الخطيرة .

فانتصح السيد سكرمنت وحسب عن يده للعمل أصبح النائب روسلين يهتم أشد الاهتمام بفوز سكرمنت ويتحري له ما استطاع الوجوه العملية والنصائح الحكيمة . وهو نفسه قد ظفر بوسام لا يدري أحد الى اليوم الأسباب التي أهلت له هذا التميز . اقترح على السيد سكرمنت دراسات جديدة ،

— نعم ... وإياه لسر ... سر عظيم !  
ومضت بالمعطف المجيد فغيبته في خزانة الثياب  
ثم أقبلت على زوجها تقول وهي مضطربة شاحبة :  
« هذا معطف جديد استصنمته لك . وقد أقسمت  
لا أفضي إليك بشيء . إن ذلك الانعام لا ينشر  
رسمياً قبل شهر أو ستة أسابيع . يجب أن تم العمل  
الذي كلفت به ، ولا ينبغي أن تعرف الخبر إلا بعد  
رجوعك . إن النائب روسلين هو الذي طلب لك  
هذا الانعام »

فاسترخت مفاصل السيد سكرمنت وقال في  
غمغمة : « روسلين الموسوم ... وسمي بهذا  
الوسام ... أنا ... هو ... آه ! » واضطر المسكين  
أن يشرب كوباً من الماء ...

وكانت على الأرض ورقة صغيرة بيضاء قد  
سقطت من جيب المعطف ، فالتقطها السيد سكرمنت  
ونظر فإذا هي بطاقة قرأ عليها : روسلين . عضو  
مجلس النواب »

فقال له امرأته :

« أرايت ؟ لعلك تصدق ! »

فشهق الرجل من السرور وأخذ يبكي من الفرح  
ولم تمض ثمانية أيام حتى نشرت الجريدة  
الرسمية أن السيد سكرمنت قد أنعم عليه بوسام  
اللاجيئون دونور من درجة فارس مكافأة له على  
خدمات استثنائية (الزيات)

#### المباراة القصصية

طلب إلينا كثير من الكتاب أن نمد في أجل المباراة  
في الأقصوصة لوفوع الأجل الأول في أزمة الامتحانات .  
فنزولاً على إرادتهم مددنا الأجل إلى آخر يونيو

فصوت ما عليه من أكواب وقوارير وتحف .  
وأخيراً قالت تسأل : « أهو أنت يا إسكندر ؟ »  
فأجابها إسكندر : نعم إنه أنا : افتحي إذن .  
فتح الباب وألقت زوجته قلبها على قلبه وهي  
تقول مغمغمة : « أوه ! يا للعرب ! يا للمفاجأة !  
يا للفرح ! ثم أخذ الزوج ينضو ثيابه على أسلوب  
علمي مرتب ، شأنه في كل شيء ، ووجد معطفه  
على كرسي فتناوله ليعاقله على مشجب الدهائز  
على عادته ، ولكنه وقف بفتنة وقفة الداهل  
المشده ، لأنه رأى في عروته شريطاً أحمر ! وأقبل  
على امرأته يجمجم ولا يكاد يبين :

« ه ... ها ... هذا المعطف موسوم ! »

حينئذ قفزت امرأته قفزة فكانت فوقه ،  
وأخذت بيديها المعطف وقالت : « كلا : إنك  
واهم ... أعطني إياه » . ولكنه ظل ممسكاً بأحد  
رذنيه لا يرسله ، وقال في جنون وحدة : « هيه !  
لماذا ؟ أخبريني ... لمن هذا المعطف ؟ إنه ليس بمعطفي  
لأنه يحمل وسام اللجيئون دونور . » فجهدت  
المرأة كل الجهد أن تنزع المعطف من يديه وهي  
مستطارة اللب تدمدم بهذا الكلام : « اسمع !  
اسمع ... أعطني إياه ... لا أستطيع أن أبوح لك  
بشيء ... هذا سر ... اسمع ... » فتكدر الرجل  
وانكفأ لونه وقال : « أريد أن أعرف كيف كان  
هذا المعطف هنا . إنه ليس بمعطفي » وصاحت المرأة  
في وجهه قائلة : « بلى . اسكت . أقسم لي ...  
اسمع ... لقد أنعم عليك بوسام ... » فاعترت الرجل  
هزة من التأثر تفكك لها جسمه فأرسل المعطف  
من يده وذهب فارتمى على مقعد  
— تقولين ... إني ... إني ... أنا ... موسوم ؟

## من غيب عنوان

للقصصى لرى شىكر  
بقلم الأديب محمود البدرى

كانت الشمس فى القرن الخامس عشر تشرق كل صباح وتغرب كل مساء كما هى اليوم . وحينما تقبل أشعتها الأولى ندى الأرض تنفض هذه عنها غبار الكرى ، وتشيع فى الدنيا البهجة ، وتحلو الأمانى ، وتعود الأرض فى المساء إلى سكوتها ، ثم تفوس فى غياهب الليل . وقد ترى أحيانا سحابة راعدة تلوح ، ويقصف الرعد وهو يزجر ، أو تهوى نجمة من شامق وهى وسسنى ، أو يقبل راهب حثيث الخطى شاحب اللون ليخبر رفاقه بأنه رأى نمرأ قريبا من الدير . كان هذا كل شيء ؛ ثم تعود ثانية الأيام تشابه الأيام ، والليالى تحاكي الليالى

كان الرهبان يصلون ويعملون : أما رئيس الدير فيعزف على الأرغن ، ويقرض الشعر اللاتينى ، ويؤلف النغم الموسيقى . وكان للكهل الحلو الوديع ذكاء فادر وسجيا جيدة . فهو يعزف على الأرغن ببراعة ، حتى أن معظم الرهبان الذين يضعف سمعهم كلما قربت نهاية حياتهم ما كانوا يستطيعون أن يحبسوا دموعهم كلما هفا صوت أرغنه من صومعته . وعندما يتكلم ولو عن الشؤون العامة كالشجر الوديف والوحوش الضارية والبحر الخضم ، لا يسمعه إنسان دون أن ترى دموعه تترقرق فى عينيه ، أو بسمه ترسم على شفثيه . فيخيل إليك أن الأنغام التى تتجاوب فى الأرغن هى بعينها التى تمتلج فى

نفسه . وحينما يهيج غيظ متمكن ، أو بأسره فرح شديد ، أو يتحدث عن أشياء مروعة تأخذها نشوة قوية ، ويتسائل الدمع من عينه اللامعة ، وتضرب وجهه الحمرة ، ويدوى صوته كالرعد . هنا يحس الرهبان المستمعون أن أرواحهم تذبها عظمتها وأنها تغنى فيه . لقد كانت قوته فى هذه الدقائق العظيمة العجيبة لا تحدد ، فلو أمر شيوخ الدير أن يقدفوا بأنفسهم فى البحر لاستبقوا إليه مسرعين

كان موسيقاه وصوته وشعره الذى يتنهل به إلى الله منبعاً لسرور الرهبان لا ينضب . فى مدة حياتهم الرتيبة تنقلب الأشجار والأزهار والربيع والخريف إلى أشياء مملّة ، ثم بقلقهم هدير اليم الزاخر ، ويصبح شدو الطير مملول النغم موزون الجرس . ولكن سجايا رئيسهم كانت لهم بمثابة القوات المحي والقوة المجددة

كرت السنون وما زالت الأيام تشابه الأيام ، والليالى تحاكي الليالى ، ومادنا من الدير أحد ، اللهم إلاضواري الوحش وجوارح الطير . وكانت أقرب المساكن الإنسانية بعيداً جداً . ولا تصل إليها من الدير أو تصل إلى الدير منها حتى تعبر صحراء ذرعها مائة ميل

والذين يجروون على القيام بهذا هم أولئك الذين لا يحملون للحياة قيمة ولا يقيمون لها وزناً ، والذين نبذوها وراءهم ظهرياً ونفضوا أيديهم منها جملة . يولون وجوههم شطر الدير وكأنهم يسبرون إلى القبر

ولشد ما كانت دهشة الرهبان عند ما قرع بابهم فى ليلة من الليالى رجل برهن لهم على أنه من

والقحة ولكنه أثر تأثيراً غريباً في رئيس الدير ، فنظر هو والرهبان بعضهم إلى بعض ثم قل رئيسهم بوجه شاحب : « إخواني ! إنه لحق . فصحيح أن الحماقة والضعف البشري جرفا الإنسانية العسة في تيار الجحود والاثم فأهلكاها وقضيا عليها . وهانحن أولاء لا نريم من هذا المكان كأنه لا عمل لنا ولا واجب علينا . لماذا لا أذهب إليهم فأذكرهم بالمسيح الذي نسوه ؟ »

فالت كلمات رجل المدينة من نفس رئيس الدير ، ففي اليوم التالي أمسك بمكازه وودع إخوانه وركب الطريق إلى المدينة ، فأمرسى الرهبان لا ينعمون بموسيقاه ولا بحلو حديثه ولا برائع قريضه

ترقبوه شهراً ثم شهرين فما عاد ؛ وأخيراً في نهاية الشهر الثالث سمعوا نقر عصاه المألوف تخف الرهبان لللاقته وأمطروه بالأسئلة ، ولكنه بدلا من مشاركتهم في جهورهم بكى بكاء مرأ وما نبس بينت شقة . رأى الرهبان أنه أصبح نحىلا ، وأن أعراض الكبر قد بدت على ملامح وجهه

فما تمالك الرهبان وقد رأوا منه ذلك أن أجهشوا بالبكاء ؛ وسألوه عما يبكيه ، فما أجابهم بكلمة ، وغادرهم موصداً عليه بابه ومكث في صومعته خمسة أيام ما شرب فيها شراباً ولا طعم طعاماً ولا علف على الأرغن . ولما طرق الرهبان عليه بابه وألحوا عليه في الخروج ليشاركوه في أساء كان جوابه الصمت العميق

خرج من معتكفه أخيراً وجمع حوله الرهبان وأخذ يقص عليهم ما حدث له خلال الشهور

سكان المدينة ؛ وكان هذا الرجل أكثر الناس ارتكاباً للاثم وحباً للحياة . وقبل أن يصلى أويرجو رئيس الدير أن يباركه طلب طعاماً ونبئدا فلما سألوه عن سبب قدومه من المدينة إلى الصحراء قص عليهم قصة صيد طويلة : خرج يطلب الصيد ومعه شراب كثير فضل الطريق ، وعند ما أشاروا إليه أن من الواجب عليه أن يمسى راهباً أجابهم في ابتسام :

« لست لكم بصاحب ! »

شرب وأكل ملء بطنه ، ثم رفع بصره إلى الرهبان الذين يقومون بخدمته وهز رأسه لأعماً وقال :

« إنكم معشر الرهبان لا تعملون شيئاً ، كل ما تمنون به هو طعامكم وشرابكم . هل هذه هي الطريقة لخلاص أرواحكم ! فكروا الآن ! بينما أنتم تعيشون في هدوء هنا ، تأكلون وتشربون وتحمون بالخيرات والبركات إذا باخوانكم هناك قد كتب عليهم عذاب الجحيم . انظروا ما الذى يحدث في المدينة ! بينما بعض ناس يموتون جوعاً ، إذا بالآخرين لا يعرفون كيف يبدرون الذهب . ينغمسون في الدعارة ويهاكون فيها كما يهلك الذباب في العسل ؛ ثم لا صدق ولا إخلاص بين الناس . من الذى يجب عليه انتشالهم مما هم فيه ؟ أنا الذى أروح صريع الكأمن من الصباح إلى المساء ؟ هل أنعم الله عليكم بالإخلاص ومن عليكم بالحب وحباًكم القلوب الرحيمة ، لتجلسوا هنا بين هذه الجدران الأربعة ولا تعملون شيئاً ؟ ! »

وكان كلام الرجل السكير ينطوى على الجرأة

نصف غارية على منضدة وسط القاصفين ، ويصعب عليكم أن تتصوروا شيئاً أكثر فتنة وسجراً منها ! صبي ناضر زاهر ، وشعر طويل جثل ، وعينان سوداوان لامعتان ، وشفتان مكنتان محمرتان ، ثم سفاهة وجرأة وقحة . هذه البهيمة تبتسم فتفتر عن أسنان بيضاء كالبرد كأنها تقول : « انظروا ! إني جميلة ومستهترة ... » وتتدلى من عاتقها الملابس الحربية البديعة المشجرة . على أن جمالها لا تحبثه ملابس ، لأنه بشره يفسح لنفسه الطريق بين طيات ثوبها .. كأنه الأعشاب الصغيرة وهي تشق لنفسها الطريق في الأرض زمن الربيع . وتشرب المرأة التي لا تستحي التبيذ ، وتغنى الأغانى ، ثم تستسلم بعد ذلك للمعربين ... « لوح الرجل الكهل بذراعيه حائقاً ثم استمر يصف لهم سباق الخيل ، وصراع الثيران ، والملاعب ، وحوانيت الفنانين حيث يمرض هيكل المرأة المارية مرسوماً بالزيت أو منحوتاً بالصلمال

\*\*\*

كان الرجل في حديثه لسنا ملهماً جهورى الصوت حلو الجرس كأنه يعزف على آلة موسيقية لا تقع عليها العين ، والرهبان ذاهلون عن أنفسهم ، غائبون عن رشدهم ، وقد أسرتهم كلماته وسحروهم بياحه ، فهم يلهثون من فرط السرور . فلما فرغ من وصف اغواء ابليس وفتنة الفسوق وسحر المرأة لعن ابليس ثم غادر المكان واختفى وراء باب

فلما خرج من صومعته صباح اليوم التالى لم يجد راهبا واحداً فى الدير . فقد انطلقوا جميعاً مسرعين إلى المدينة ١١

محمد البردى

الثلاثة التي خلت والدمع ينضح وجهه والألم بأكل قلبه ؛ ثم هدأت نفسه وتهللت أساريره حينما أخذ يصف لهم رحلته من الدير إلى المدينة . غنى الطير وخر الجدول على جوانب الطريق ، وجاش صدره بالأمانى الحلوة والآمال المعسولة . شعر بأنه جندى يتيماً لا فتحام الموقعة والوصول إلى النعم المحقق . سار حالماً يقرض القصيد ويصوغ النشيد ؛ وسرعان ما وجد نفسه فى نهاية الرحلة . على أن عينه أومضت باللهب ، ونفسه جاشت بالغضب ، وصوته ارتمش عند ما بدأ يتحدثهم عن المدينة والانسانية . ما كان رأى ولا تخيل قبل اليوم كل الذى رآه وأحساه وهو فى قاب المدينة . رأى وفهم لأول مرة فى حياته سلطان ابليس وسيادة الجور وضعف القلب الانسانى الخاوى . هنا خمسون أو ستون رجلاً جيوبهم مترعة بالمال يقصفون ويشربون النبيذ دون حد ، أخذوا وقد تملكتهم نشوة الراح يرفعون عقائرهم بالغناء الساقط ، وينوهون فى شجاعة بأشياء جارحة لا يجرؤ إنسان يخاف الله جل سلطانه أن يشير إليها . فهم أحرار سعداء شجعان لا يخافون الله ولا يخشون الجحيم ولا يهابون الموت . يقولون ويفعلون ما يشاءون ، ويذهبون إلى حيث تسوقهم رغباتهم الجامحة

أما النبيذ فصاف صفاء الكهرمان ، وهو أيضا زكى الرائحة لذيذ الطعم ، لأن كل من يعب منه يطفح وجهه بالبشر ويرغب فى الشراب ثانية . وهو يجزى على ابتسام بابتسام ، وتهلل غبطة كأنه يعرف أى ضلال جهنمى يختبئ تحت حللته

على سرجل غضبه وبكى أحر البكاء وأشجاء . ثم استطرد يقص عليهم ما رأى : « وقفت امرأة

# غرام إدوارد الثالث

بقلم الأستاذ عبد الحميد حمري

بإدعية على مولاي الملك ؛  
فماذا في مقدور عبدتك  
أن تفعل لتزيل عن  
نفسك أسباب الأذى  
المعاصي والكآبة  
المطبقة ؟

إدوارد - عفواً يا سيدتي ، إني لشارد اللب ؛  
وما أستطيع أن أنتز أزهار العزاء على أرغى من  
الفضيحة والعار ؛ فاني قد أخطأت يا كوتنس ،  
منذ دخلت هذا المكان  
الكوتنس - حاشا ، يا مولاي ، أن يكون  
بين أهل هذه الدار من يستطيع أن يرى ما يلي  
خطئاً !

أطلعني يا مولاي الكريم على أسباب امتناعك  
إدوارد - وماذا يكون مبالغ قربي من الشقاء  
إذا أما أطمعتك على ما تطلبين ؟

الكوتنس - يكون ذلك على قدر ما تستطيع  
جميع قواي النسوية أن تبذل في مشتري الدواء .  
إدوارد - إذا كنت تقولين حقاً فني ذلك  
كل أسباب الرضا ؛ فاستخدي جميع قواك في  
تحقيق أسباب سعادتي ، وعندئذ أسعد يا كوتنس  
أو أموت

الكوتنس - سأفعل ، يا مولاي ، ما تريد  
إدوارد - أقسمي على ذلك يا كوتنس  
الكوتنس - أقسم باسماء أني سأفعل  
إدوارد - إذن انتحي جانباً غير بعيد  
واذكري أن هنا ملكاً مغمماً بك  
واذكري أن في مقدورك أن تسمديه ، وأنت

يتحدث الناس اليوم عن غرام دوق وندسور  
( الملك إدوارد الثامن ) بسيدة كانت متزوجة يوم  
أحبها ، وعما انتهى إليه ذلك الحب من طلاق السيدة  
زوجها ، ونزول الملك عن عرشه للاقتراح بها .  
وهنا قصة ملك آخر من ملوك الانجيز هو إدوارد  
الثالث الذي أحب كذلك سيدة متزوجة ، وقد  
انتهى أمد غرامه على ما يرى في هذه التمثيلية الشعرية  
التي وضعها بعضهم ، وقد نسبت إلى شاعر الانجيز  
الأكبر شاكسبير

وتأخص القصة في أن الحرب كانت قائمة بين  
إدوارد الثالث وبين الاسكتلانديين ، وقد حاصر  
الاسكتلانديون حصن روكسبرج وأمسروا حاكمه  
لورد سالسبري ، وقامت زوجته لادي سالسبري  
بالدفاع عن الحصن دفاع الأبطال ، حتى إذا اقترب  
الملك إدوارد من الحصن تخلى عنه المحاصرون  
وتراجعوا هاربين أمام جيوش الملك

وفتحت لادي سالسبري أبواب الحصن أمام  
الملك الذي أصبح هو وحاشيته ضيوفها ؛ وما كاد  
الملك يرى ربة القصر حتى أحس بحبها بهاجم قلبه  
وشعر بحرج موقفه ، وفاجأته اللادي واقفاً إلى  
نافذة الردهة شارد الفكر فجري بينهما هذا الحوار :  
الكوتنس - يؤلني أن أرى مظاهر الحزن

قد أقسمت على أن تبذل في سبيل إسماده كل ما تستطيع قوتك لتحقيقه من أسباب العزاء  
افعل ذلك كله ثم خبرني متى تتحقق سعادتي  
الـكـوـنـتـس — لقد فعلت ذلك كله ، يا مولاي  
الملك المهيّب

واقـد قـدـمـت لك من مظاهر الطاعة والاخلاص  
كل ما في مقدوري من قوة الحب التي أستطيع أن  
أحيطك بها

فقل لي ، يا مولاي ، أي برهان غير ذلك تريد ؟  
إدوارد — لقد سمعتني أقول إنني مفرم بك  
الـكـوـنـتـس — لئن كنت مفرماً بجمالي فخذ  
إن استطعت ، فهو على ثقافته لا يساوي في نظري عشر  
قيمه ؛ ولئن كنت مفرماً بفضيلتي فخذها إن استطعت  
فنبع الفضيلة ينفي بمقدار ما ينفق منه  
وليكن غرامك يا مولاي بأي مما أستطيع أن  
أعطى وما أستطيع أن تأخذ ، فلتنه عني  
إدوارد — إن جمالك هو الذي أريد أن أنعم به  
الـكـوـنـتـس — وددت يا مولاي لو كان جمالي  
دهاناً ؛ إذن لمحوته فخرمت منه نفسي وقدمته إليك  
ولكنه ، يا مولاي الملك ، ملتصق بحياتي  
ملازم لها

فاذا أنت أخذت أحدها أخذت الثاني معه ،  
فجالي كالخيال المتواضع يتبع ضوء الشمس المشرقة  
في صيف حياتي  
إدوارد — ولكنك تستطيعين أن تميريني  
إياه فأنعم به

الـكـوـنـتـس — ليس أسهل من أن أعير روعي  
بعيداً عن جسمي — والجسم في قيد الحياة —  
إلا أن أعير جسمي — وهو مأوى روعي —

بعيدة عنها ، بينما أنا محتفظة بها  
إن جسمي هو مخدع روعي ، وساحتها ،  
ومعبدتها ؛ وروعي ملاك ، تق طاهر ، سماوي ،  
غير مدنس  
فاذا أعمرتك بيت هذا الملك يا مولاي قتلت  
روعي المسكينة ، وقتلتي روعي المعبدة

\*\*\*

وطلب الملك من الأزل وارويك ، والد  
الـكـوـنـتـس أوف سالسبري — بحكم عين الطاعة  
التي أقسمها له — أن يذهب إلى ابنته فيأمرها  
باطاعة رغبات الملك . وتظاهر الأزل بالطاعة ، وكان  
موقفه غاية في الحرج . وفي الحوار الآتي بينه وبين  
ابنته يبدو مبلغ ذلك الحرج ، كما تبدو لباقة الأزل  
في أداء واجب الطاعة لليمين التي أقسمها ، وواجب  
الشرف والحرص على كرامة ابنته  
وارويك — كيف أستطيع أداء هذه المهمة  
القاسية ؟ يجب ألا أناديها بابنتي ؛ إذ أين هو  
الأب الذي يقبل في مثل هذا الظرف التمس أن  
يحرص ابنته على الزنا ؟

إذن سأناديها بامرأة سالسبري ... فهل أنكم ؟  
لا ... إن سالسبري صديق ؛ وأين هو الصديق  
الذي يؤذي الصداقة بمثل هذه المثابة ؟

إذن لا أناديها ابنتي ولا أناديها امرأة صديق .  
لا ، فما أنا وارويك كما تتوهمين  
إن أنا إلا محام قادم من محكمة الجحيم  
لبست روحه جسم وارويك  
لأحمل إليك رسالة من الملك .

فلك أنجالترا العظيم مفرم بك أيتها السيدة ،  
والرجل الذي يستطيع أن يسلبك حياتك

السكوت نس - حصار غير طبيعي ... إذن ما أشد تسمى .. أأنجو من خطر الأعداء لأنهم من أصدقائي في خطر أشد منه فظاعة وقسوة ؟ أليست لدى الملك من وسيلة أخرى يدنس بها دى الشريف غير إفساد باعث هذا الدم في عروق وحمله على أن يكون محاميه الشرير ورسوله المفضوح ... فلا عجب إذا فسدت الفروع ، بعد أن دب الفساد في الجذوع . ولا عجب أن يموت الطفل المجنوم إذا تلوثت حلمة الضرع وقد جف ممينه . إذن أتركوا الاتم حبله على الغارب ، وسلموا الشباب الطائش زمام الحرية المطلقة ، وأزيلوا القوانين الشديدة المانعة ، واحموا جميع القواعد التي تجزى على العار بالعار وتقابل الجريمة بالعقاب . لا ، بل دعوني أمت إذا كانت إرادة الملك الغاضبة تأتي إلا ما يريد . فلأمت قبل أن أطيع إرادته ، وأمثل الدور الذي يريد أن أمثله في ملهامة شهوته الفاضحة واروبك - أراك تتكلمين كما أردت أن تتكلمي . فاصنى إلى فما أنا بمعيد ما أسمعتك من قبل ، فإن قبراً شريفاً أجل مكانة من نخدع الملك المدنس . وكلما عظمت مكانة الرجل عظمت قيمة عمله كريماً كان ذلك العمل أو شائناً . والذرة الحقيمة التي تتطاير في شعاع الشمس تبدو للعين في أضعاف قيمتها الحقيقية . وأشد أيام الصيف صفاء لا يلبث أن يلوث الجنة الهامدة التي يبدو كأنه يقبلها . وعميقة هي الضربات التي تحدثها الفأس القوية ، والجريمة التي ترتكب في المكان المقدس بتضاعف أثمها عشرات المرات . والعمل الشرير الذي يرتكب بحكم القوة إثم مزدوج مقرون بالتحريض : والقرود الذي يكسى بالملابس الجميلة البراقة الألوان يصبح منظره

إن أراد ، يستطيع كذلك أن يسلبك شرفك ... فأطيعيه وأعيريه شرفك لتنفذى حياتك فكثيراً ما بضيع الشرف ثم يسترد ، ولكن الحياة إذا ضاعت فإنها لن تعود ؛ والشمس التي تجفف الحشائش تنعش الأعشاب ؛ والملك الذي يدنسك قادر على أن يرفع مكانتك . ويقول الشعراء إن رمح أنسيل العظيم كان يشق الجروح التي يحدثها ... ومغزى ذلك أن الرجل القوي يستطيع أن يصلح ما أفسد والأسد قادر على تنظيف فكيه الداميتين ، وعلى ستر قسوته بمظاهر الوداعة بينما فريسته الهالمة تتمد عند قدميه والملك يستطيع - في عظمتيه - أن يستر عارك وهؤلاء الذين يجروون على النظر ناحيته باحثين عنك إنما يفقدون نعمة البصر بالنظر إلى قرص الشمس وما مبلغ الضرر الذي يمكن أن تحدثه نقطة من السم في المحيط الهائل ؟ وعظامة المحيط كقيلة بتطهير كل ما يلقى فيه من المفاسد ، وتبجربدها من قوة الأذى ... واسم الملك العظيم يبرر سوء عمله ويكسو جرعة الندم المرة غلافاً من السكر حلواً للذائق . واذكرى إلى ذلك أن لا ضرر في أن تفعل ما لا يمكن أن تصونه في مأمن من العار وهأنذا بأمر ملكي قد أبرزت الرذيلة في ثوب الفضيلة . وإنى أنتظر جوابك في قضية مولاي

أدعى ألى الزراية والاحتقار . إنى أستطيع يا ابنتى  
أن أطيل الكلام فى وصف عظمة الملك وجسامته  
العار الذى يلحقك من ورائها ؛ ولا تزيد الكأس  
الذهبية منظر السم إلا بشاعة . وتبدو الليلة الظلماء  
أشد ظلاماً إذا تخلصها البروق . والزئبقه الفاسدة  
أخبث ريحاً من السمب العطن . وكل مجد ينحدر  
إلى الأثم يتضاعف العار الذى ينشأ عنه . وإنى  
لأترك الآث وقد أودعت نفسك دعواتى التى  
ستقلب لمة قاسية أشد القسوة إذا أنت لوثت  
اسمك الذهبى الشريف بلوثة العار المموء بمظاهر  
العظمة والمجد ( ينصرف )

الكونتس — سأبعتك ، وإذا ما استدار عقلى  
هذه الناحية فيغمر جسمى روحى فى هم غير  
محدود النهاية

\*\*\*

وفى أثناء ثورة عواطف إدوارد يصل ابنه  
البرنس أوف ويلز إلى قصر روكسبرج فتثور فى  
رأس الملك معركة شديدة يبدو أثرها فى حوار بينه  
وبين الأمير يذكر فيه واجباته الزوجية ، فيتردد  
بين الحرص عليها وبين الاندفاع وراء شهوته المفاجئة  
الملحة ؛ وبينما هو فى هذا الحوار يتقدم اللورد  
فيلمان قدوم اللادى سالبرى ، فيأمر الملك ابنه  
بالانصراف والتسلى مع أصحابه ، وتدخل لادى  
سالبرى فيجربى بين الملك وبينها هذا الحوار

\*\*\*

الملك — الآن جئت يا صديقة روحى

لتريدنى من كذاتك القدسية

فى معارضة حبي جمالك الفتان !

الكونتس — أقدم منى أبى ، وهو يباركنى ..

الملك — أن تخضى لارادى  
الكونتس — إنما ذلك حقك يا مولاي  
الملك — على أن هذا يا أحب الناس إلى ليس  
إلا مقابلة حق بحق ومبادلة حب بحب  
الكونتس — بل مبادلة الخطيئة بالخطيئة ،  
والعداوة بالعداوة

والكنى إذ أرى جلالتك ميالاً لهذا الأمر فلا  
ممانعتى ، ولا حبي زوجى ، ولا مكاتك السامية ،  
ولا الاحترام الواجبة رعابته ، ولا شئ من ذلك  
بقادر على أن ينقضى . وإذا لم يكن بد من أن  
تتغاب قوتك وتطنى على كل هذه الاعتبارات فانى  
أستبدل الرضا بالتمتع .

وسأرغم نفسى على عمل ما لم أكن لأعمله .  
إنما أشرت يا مولاي أن تمحو تلك الموانع التى  
تحول بين حب جلالتك وحبي

الملك — أذكرى هذه الموانع يا حبيتى ، وإنى  
لأقسم بالسما على أن أزيلها  
الكونتس — إنها حياتهما هى التى تقف  
بين حبينا

وإنى لأغص إذ أقول ذلك يا مليكى

الملك — حياء من ياسيدتى ؟

الكونتس — فليعلم مولاي الملك الحبيب  
أنها حياة ملكتك ، وسالبرى زوجى الشرعى ،  
فهو بصفته هذه سيحول دون حبنا مادام حياً ،  
ولن نستطيع أن ندم إلا بموتها

الملك — إن ما تطلبين فوق طاقة قوانيننا

الكونتس — وكذلك شأن رغباتك ، فإذا  
كان القانون يستطيع أن يمنحك من تنفيذ أحد  
الأمرين ، فليمنحك كذلك من محاولة الأمر الآخر

وما أستطيع أن أصدق أنك تحبني كما تصف  
إلا إذا أنت وفيت باليمين التي أقسمت  
إدوارد - كفى . فليمت زوجك والملكة  
فأنك لا روع جالاً مما كانت هيرو  
ولم يكن بيرواس ليندر بأقوى مني  
وقد خاض مجرى الماء سعيًا إلى حبيبته .  
أما أنا فساخوض جحيمًا من الدماء لأصل إلى  
هيكل معبودتي

الكونتس - وإنك لتفعل أكثر من ذلك ،  
فستصبغ ماء النهر بدم قلبيهما الذي يشطر حبنا  
 ويفصل بيننا . ونصيبا زوجي وزوجك من هذا  
الدم متساويان

إدوارد - إن جلالك بحماهما جريمة موتهما  
وبقدم الدليل الذي يقضى بأن يموتا  
وأنا باسم هذا الدليل وبصفتي قاضيهما سأؤذيهم  
الكونتس - يا لله من الجلال المزيف ! ومن  
القاضي الفاسد الضمير !

وعند ما تعقد محكمة السماء العالية فوق رؤوسنا  
اجتماعها العام وتبدأ حساب الناس ، وتحاسبنا  
على هذا الشر الجسم هل نستطيع إلا أن نتجف  
كلانا من هول الجريمة ؟

إدوارد - ماذا تقول حبيبتي ؟ هل هي مصممة ؟  
الكونتس - مصممة على أن أتحال من  
قيودي ، وإذن إليك هذا :

أنجز وعدك أيها الملك العظيم أصبح لك .  
قف حيث أنت وسأبتعد عنك قليلاً  
ثم ترى كيف أسلم نفسي بين يديك  
( تلفت إليه فجأة كاشفة عن سكينين )

ها على جنبي تتدلى سكيننا زواحي  
خذ إحداها فاقتل بها ما يكتك  
وتعلم مني أين هي راقدة ،  
فسأقتل بالأخرى حبيبي الذي ينام نوماً عميقاً  
في سويداء قاي ؟

فاذا ذهبنا جميعاً فساوضح لارادتك غرامك .  
لا تحاول أيها الملك الداعر أن تمنعني  
فان غزى أمرع في حركته من محاولتك  
انقاذي

فاذا تحركت فساأضرب ، فقف مكانك ،  
واستمع لما أخبرك به  
فأما أن تقسم على المدول عن رغبتك الشريرة  
فلا تعود أبداً إلى محادثتي فيها وإلا أقسمت  
بالسما ( ترك ) أن تلتطخ هذه السكين الماضية  
هذه الأرض بما أردت أن تلوث من دم صدى  
المسكين . أقسم يا إدوارد أقسم !

وإلا فساأضرب هنا وأموت تحت قدميك  
إدوارد - إني لأقسم بالقوة التي تزودني الآن  
روح الحجل من نفسي ألا أفتح شفقي بعد  
الآن بكلمة تشير إلى هذا الأمر الشرير .

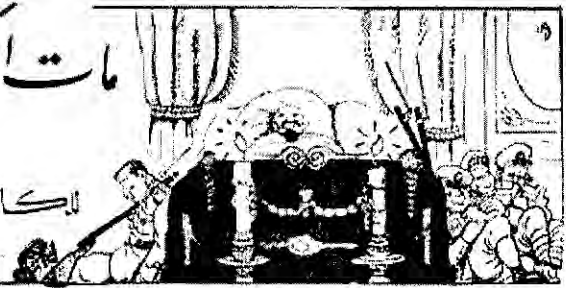
انهضى أيتها السيدة الإنجليزية صدقا التي  
ستفخر بها جزيرتنا أبداً بخير مما يستطيع أي  
روماني أن يفخر بتلك التي أجهد كنزها اللبوش  
أقلام الكثيرين عبثاً في محاولة وصفها .

انهضى ولتكن خطيئتي عماد سمعتك الشريفة  
التي ستغنين بها على مر الأجيال  
انهضى فاقعد أفقت من ذلك الحلم الكريه  
عبر الجبل محمدى



## مات الملك عاش الملك

للكاتبة الانجليزية ماري كوليردج  
بفتحة الأديب محمد عبد الفتاح محمد



أن الفم قد انطبق ، والعينين أسبلتا ، والقلب كأنه  
كف عن وجيبه الدائب  
ودار الهمس :

— يا لله ! ما أروع ! ما أشد جلاله !

كانت غشية الموت قد أصابت الملك ، ولكنه  
أفاق منها فرأى الصمت المروع الرهيب قد شمل  
القاعة . صمت سحري في روعته ، جليل في رهبته .  
ووجد نفسه من كثرة الازهار الفواحة في مثل  
الفردوس الذي وعد الله عباده المتقين . وألقى في  
نهاية الفراش عند قدميه شمتين ترسلان ضوءاً  
خافتاً مرتمشاً ، يخفق كخفقان قاب العاشق . وكان  
رأسه هو الذي تحرر من الغطاء المحمل بالابن الملقى  
على بطنه الجليل ؛ ورأى على ذلك الضوء الذابل  
الضئيل أربعة ، بل خمسة رجال حول السرير  
يغطون في نوم عميق

وشاع في نفسه فرح شديد حينما استطاع أن  
يتحرك . وما كادت ساعة القصر الكبيرة تنتهي  
من دقائقها الاحدى عشرة حتى أحس بقوة الحياة  
تطرد من جسده ضعف الموت . فهب من رقدته  
جالساً وهو يضحك ضحكة خفيفة

ما هذه القوة الفاشمة التي كادت تودى به على  
حين يرى بلاده في أشد الحاجة إليه ، ولكن  
صوتاً خفياً هتف بالملك من وراء الغيب يقول :

لم يكن السكون شاملاً ولا الصمت كاملاً في  
القاعة الرحبة التي خيم عليها جلال الاحتضار  
وغشيتها الموت . هناك حيث رقد الملك مستسلماً إلى  
تلك القوة الخفية التي استتوت عليه لتنتزع منه سر  
الحياة . وكان الناس بين غاد ورائح ، يتهايمسون في  
سكون وحذر كأنما يخشون أن يزجروا ذلك الذي  
يافظ أنفاسه الأخيرة ، على الرغم من أن الطبيب  
الخاص لجلالته قد أذاع أن عليه لم يعد يسمع شيئاً .  
وكان أولى بالاحتضار أن يتململ لتجيب زوجه  
الصغيرة الحسنة وقد جثت على حافة سريريه ، لو كان  
دبيب الفناء في بطنه قد ترك له شيئاً من حس السماع  
وروى في الاضاء ألا تكون قوية باهرة ، وفي  
الستائر أن تظل مسدلة كيلا يؤذى الضوء عيني الراقد  
الجليل ، على الرغم من أن الطبيب قد أكد أن  
جلالته أصبح لا يرى شيئاً

ولم يسمحوا لانسان ما أن يدنو من الفراش  
ماعد أولئك الذين له في قلوبهم أخاص الحب  
وأشد الوفاء ، على الرغم من أن الطبيب قرأن  
صاحب الجلالة أصبح لا يعرف من الناس أحداً

رقد وقد تدات يده الكريمة من الفراش كأنما  
تبحث عن شيء ، فتناولاتها الملكة بين يديها منتحبة  
معمولة ؛ بيد أن الملك لم يستطع أن يجيب على ضفطها  
أيده بالمثل ، لأنه كان في واد آخر غير واديه . ولو حظ

إن أمامه ساعة ليس خير ، سيمود بمدها إلى الحياة  
ويكون هذا الحلم المزيج قد مر بسلام  
وتنفس الصعداء عند ما مر ذلك بخاطرهم ، ثم  
غمغم قائلاً :

— ستمود الأمور إلى مجراها بعد حين  
واستذكر لحظاته الأخيرة ، ثم استدار ومرح  
البصر في فراشه وقال :  
— غير أني لم أكن يوماً ما جباناً ولا رعيديداً .  
وابتسم حينما ذكر المهلة التي منحها إياه الصوت  
الهاتف

ونظر أمامه فأنى ملكه الواسع المربض يمتد  
تحت ضوء القمر الزاهر ، فقال لنفسه :  
— سأجد ولا ريب ثلاثة آلاف عوضاً عن  
ثلاثة ، أليس الكل أصدقائي وأحبابي ؟  
ومر عند ما ترك باب القصر المنيف بطفل يبكي  
بكاء مرأ ، فقال له في عطف :

— ما خطبك أيها الصغير ؟  
فأجابه الطفل من خلال النحيب :  
— لقد فارقت أبي وأبواي وذهبا إلى القصر من  
جاء موت الملك ولم يعودا بعد . وإني كما ترى  
وحيد تعب جائع ، ولم أتناول عشاءي حتى الآن ؛  
ثم إن دميتي تحطمت . ألا ليت الملك يعود إلى  
الحياة ثانية !

وانهمرت مسارب عيني الطفل واشتد نحيبه ،  
فسر الملك أشد السرور ، وقال في نفسه :

— ها هو ذا أحد أفراد شعبي يتمنى لي عودة الروح  
ولم يكن لديه بنت ولا ابن ، فأراد أن يداعب  
الطفل ويأمله ، ولكنه آثر أن يغشى إلى شأن أهم  
إذ كان في طريقه إلى منزل الرجل الذي أدناه

« أيها العبد ! سأمنحك الحياة ساعة بعد هذه  
الموتة . وإذا عثرت فيها على ثلاثة يشق عليهم فراقك  
جعلتك من الخالدين »

إذن فهذه ساعته . ساعته التي انتزعها من  
الموت انتزاعاً . كم ياترى مر منها ؟

لقد كان ملكاً عادلاً كلوه العين لا يغفل عن  
راحة شعبه ، جرى الصدر لا يعرف من الخوف  
سبيلاً إلى قلبه ، ولكنه يحب الحياة . لله ما أجهلها !  
لقد عرف الآن قيمتها لديه . على أنه لا يحب الحياة  
لذاتها ، ولا يتعلق بها لذاته ؛ إنما يهوى الحياة لأن  
أعماله لم تتم ، وآماله لم تحقق ، ورسائله لم تؤد على  
وجهها الأكمل

وارتدت الأشياء في عينيه ثوباً جديداً وهو  
يغادر الغرفة ماراً بالحراس النائمين . وفارقه شعور  
السخط والتبرم بالقوة الظالمة التي سلبته الحياة

وقلب الأمر على جميع وجوهه ، ونبتذ الماطفة  
وحكم العقل ، وقال في نفسه : « إن البلاد حقاً في  
حاجة إليه ، ولكن هناك من يعدله من الرجال  
أو يفضلوه . وإن الدنيا المليئة بالعقول الناجحة  
والقلوب الكريمة . العالم وسيع ، وإنه ليراه الآن  
أوسع . كل شيء يبدو في ناظره أكبر مما كان  
من قبل . لقد نبذته بلاده الآن وهجرته بمسد أن  
أفنى عمره في السعى لها والحذب عليها

وتردد لدى الباب : أين يذهب أول الأمر ؟  
أيذهب إلى زوجه ؟ كلا ، لا ينبغي أن يراها الآن ،  
فميناها قرحهما البكاء ، وجسمها هذه الحزن

يجب ألا يراها إلا حين يستطيع أن يضمها إلى  
صدره ، ويرى دموع الفرح بمودته إلى الحياة  
تنضح أسيل الخد ، كقطرات الطل على نضير الورد .

من نفسه وآثره على غيره

وخامره شعور غريب ، وخشى ألا يجده في منزله ، وقال :

— يا أمياس المسكين ! إني سعيد إذ لم يمت حزناً على ، فلا أستطيع احتمال فقدته ولا الحياة من بعده . وأنى حينما دلف إلى منزل صديقه المشاعل تغدو وتروح محمولة والجياذ مسرجة ؛ وبلغت أصوات المهرج والمرج مسمعية ، فتلفت هنا وهناك ، ولكنه لم ير الوجه المألوف . وأبصر باباً مفتوحاً ، فتسلسل منه ، ولكنه لم يثر على صديقه ؛ وبحث عبثاً في غرفه . كانت كلها خاوية ، فانتابه هلع شديد . لم يقتله الحزن ولا ريب ! . وبلغ الجناح الذي تساقيا فيه الصفو على غرة من الليالي ، ولم يجده هناك أيضاً . رأى الكتب مبعثرة والزجاج متناثر الشظايا على بلاط الغرفة

ولح إطار صورة ملق على الأرض ، فالتقطه فكانت صورته وقد تحطم الإطار ، فتركه يسقط من يده ثانية كأنما لسمته نار تندلع منه

وانتهى ناحية الموقد الكبير في ركن من القاعة ، وكان قلبه يتأجج بالجر كأنه الحب اليائس فرأى بقية من رسالة لم تمسها النار بعد ؛ كانت رسالة كتبها بخطه إلى صديقه الحميم ؛ فتناولها وصر يبصره عليها ، فألفاها آخر رسائله إليه كان قد ذكر له فيها تفاصيل مشروع اعترم القيام به وما كاد يطعمها النار المتهبة حتى دخل القاعة شخصان يتجادلان : يقول الرجل المرأة :

— أين أمياس ، ألا تعلمين ؟

— ذهب ليقدم ولاء الملك الجديد ، إذ نحن كما تعلم في قلق مستمر ، وهذا الملك ليس على شاكلة

سلفه من حيث الآراء الغريبة ، وقد كان سافه يحمل له المقت والكرهية ؛ وقد عمل أمياس الماكر على أن يفسح لنفسه مكاناً في البلاط الجديد ، وآمل أن يكون قد أفلح . لقد أقسم إلى أنه كان يستهجن سياسة الملك القديم . لا صرية في أنه كان محبوبه المطف واللطيف والحظوة ، ولكن يجب ألا نحكم العاطفة إذا إردنا الرغد في الديش . وقد بدأ خطته حين مات الملك ؛ وها أنذا أرسل أمتته في أثره

— حسن جداً !

قالها الرجل الذي عرف الملك فيه أحد سفرائه ، وقال بعد برهة :

— سأتبعمه فوراً . وإني أقول لك والكلام بيني وبينك ، أن ذلك لصالح الدولة ؛ فالملك الجديد أرعن طائش لا يدري ماهية الحكم . لقد أمرني أن أعقد صلحاً لا يتفق وما شيدنا من قصور الآمال ؛ غير أن الحرب قائمة لا محالة . ولا اكتمك أني لو كنت أطعت أمره لعزت الترقيات في الجيش وشحت المناصب

ولم يطق الملك سماع بقية الحديث ، فانصرف وهو يقول في نفسه :

— لأذهبن إلى أصدقائي ، فهم على الأقل لا يجنون شيئاً من مدهانة خافي ، ولعله مجردهم من كل ما وهبهم إياه

وسمع الساعة الكبيرة تدق ربع الساعة الأول وهو يسير . لقد كان ملكاً حكيماً ، إذ اتخذ سبيله إلى أفقر الأحياء في مملكته ، وقد زار هذه الأمكنة من قبل متخفياً ، فأثري نفسه ما هم فيه من المسكنة والفقر

— لقد طالما حاول أن يعبث بالقانون . كان  
أولى به أن يهتم بالأبرياء الذين يغيبون في السجون .  
إن في الأمر شيئاً ولا ريب  
يا لله ! كأنما التأم هذا الجمع للنيل منه  
والقدح فيه

ودقت الساعة الربع الثاني حينما ابتعد الملك  
عن هؤلاء الرعا  
وأحس دافعاً قوياً دفعه إلى عدو له كان يكيل  
له السبائب والشتائم فينتقباها منه هاشكاً باسمه ، وأخذ  
سبيله إلى السجن قدماً . وانتقى غرفة منه تضم بين  
جدرانها الدكناء رجلاً واحداً يكتب مستنداً  
على إحدى ركبتيه . فأدام الملك النظر إليه ،  
وسرعان ما دخل حارس السجن يرافقه رئيس  
مجلس الشورى ، وهو رجل كان يوجب به الملك  
وبقدره حق قدره  
ورفع السجين رأسه بسرعة ثم قال في اضطراب  
وقلق :

— ولكن بوى غداً  
ثم عاد وتمالك نفسه وقال :  
— غير أنى الآن على استعداد . لى رجاء واحد .  
هل آمل أن تبلغوا هذه إلى زوجى ؟  
فتكلم رئيس مجلس الشورى فى هدوء :  
— لقد مات الملك ، وأرجى تنفيذ الحكم  
فيك . إن الملك الجديد سياسة أخرى ، ومن  
المحتمل أن يطلق سراحك غداً

فقال السجين فى حزن عميق :

— مات ؟

فقال الآخر فى حزم :

— أجل . مات !

ولم يكن أحد يعلم من أين أتته تلك الحمى  
الخبيثة التى أودت بحياته ، حتى هو نفسه لم يكن  
يعلم علم اليقين ، وغمغم ضاحكاً :

— سوف لا تمس الحيات جسمى بعد الآن  
وكانت منازل الحى الرضيع تدل على فقر مدقع  
وبؤس شديد ؛ وكانت الأمراض والأدواء تبدو  
واضحة على وجوه الأهلى البؤساء الذين وقفوا  
جماعات على قارعة الطريق يتهايمون ويرددون اسمه  
من حين إلى حين . كان اسمه جارياً على كل لسان ،  
شاغلاً كل ذهن ؛ وسمعه فيما سمع يرددون النشرات  
الطبية التى أذيعت عليهم وبحزرون اليوم الذى  
يشيعونه فيه إلى مقبره الأخير . عجباً ! يظهر أنهم  
بموتة مقتبطون

وفى إحدى المواخير أبصر خمسة رجال حول  
مائدة يجلسون شراباً ، فوقف يتسمع إلى حديثهم ؛  
وسمع أحدهم يقول :

— حمد الله على خلاصتنا منه . فما فائدة ملك  
يضن بفلس واحد زيادة عما أمر به . ولا يخفى عليكم  
ما فى ذلك من كساد تجارتنا . أما الملك الجديد فيبدو  
لى أنه من صنف آخر . وستزوج بضاعتنا فى حكمه  
وايم الحق . فقال آخر :

— أجل . لقد كان ملكاً لا يطاق . كان يطارداً  
ومحرم علينا اللهو . بأى حق كان يفعل ذلك ؟ أريد  
أن أعلم  
فقال ثالث :

— أما أنا فأقول . ليسقط ذرو التيجان . فان  
كان لا بد منهم فليتركونا وشأننا . وإنى لأؤثر  
شاباً لا ينصاع لما تعلمه عليه سالبات النهى الكواعب  
وقال رابع :

فهب السجين واقفاً يسبح جبينه كالحموم  
ثم قال :

— سيدى لقد كنت أجهل وأحترمه . كان  
ملكاً بكل ما فى هذه الكلمة من معان سامية ،  
وقد عاملنى معاملته لسيد عظيم . ذلك فضلاً عن  
زوجه الصغيرة الحسنة ، لكم أتعنى أن يبعث مرة  
أخرى ، وكان الدمع يجول فى عيني الرجل أثناء  
حديثه

ودقت الساعة الربع الثالث والملك يغادر  
السجن الرهيب

كان عطف عدوه أشد وقماً على نفسه من غدر  
خلصائه ومحبيه . خير له أن يموت من أن يكون  
مدينًا بحياته لئلا ذلك الرجل

غير أنه لم يسه له إلا أن يطرب لشعور الرجل  
نحوه وتقدير ما فى نفسه من نبل ومروءة ؟ وهان  
عليه الموت وسهل لأنه رأى أن محبة الناس له لم  
تكن إلا حلاً من الاحلام . إن هؤلاء الناس  
الذين تمب لهم وسهر عليهم لم يبلغوا بعد شأواً  
من يحترم نفسه

— أين أصدقائى الآن ؟ . طفل غريب ،  
وعدو نبيل . إنهما كل مالى من أصدقاء . وهل  
للحياة قيمة بعد ذلك ؟

ألا يجدر به أن يستسلم للقضاء . ولا يتمنى  
بعد الآن شيئاً ؟ لقد تلقى درساً بائعاً . فى وسعه  
أن يرقد فينام فينال الراحة الكبرى . لقد بررت  
القوة الإلهية مسلحاً مع الانسان الطامع الجهول .  
ماذا ينفع المرء أن يثبت عنده كذب أخيه ؟

وفارقه الأسف ، وذهب عنه الحزن ، وبرز  
الخفاء ، وتكشفت له الحياة

وتلبدت السماء بالسحب القاتمة فحجبت قرص  
القمر الزاهى . وهبت ريح باردة نالت من جسده  
المهوك . وأحس عزلة موحشة تشمله ، ووحدته  
قاسية تكاد تصرعه ، وقاض قلبه بأساً وغماً

أحقاً ليس هناك من يهتم له ويحزن عليه ؟ إنه  
يهب كل ماله فى سبيل نظرة عطف حقيقية  
واحدة . كم يتوق الآن إلى شخص يبذل له من  
ذات نفسه ما يجمع عليه يده ويشد به عضده . كم  
يموزه الآن أليف يتمه بنعمة وداده ويقبل عثاره  
لديه لحظات أخرى ثم ينتهى الأجل . كيف  
بالله احتمل عمره الطويل ؟ على أى حل لم تبق له إلا  
دقائق معدودة

وأحس سلوة فى نفسه وعزاء فى قلبه . نسي  
كل ما أساء به إليه الناس وصغر لديه شأنه وحقر  
فى عيني نفسه

ووقف لدى باب غرفة زوجه يقدم رجلاً  
ويؤخر أخرى . ماذا يفعل لو وجد أمه الباقى  
مراباً ؟ ألا يحتمل به أن يعود حتى لا تصرعه الحقيقة  
المرة ؟ غير أنه غمغم قائلاً :

— لم أكن يوماً ما جباناً ولا رعديداً  
وكانت زوجه تجلس إلى جوار الموقد وحيدة  
تخفى وجهها بشعرها الأسود الوحف المسترسل .  
أحس عند ما رآها لأول وهلة بعطف نحوها يكاد  
يذيب منه القلب . وعجب كيف تسرب إليه الشك  
فى إخلاصها

وكان خاتمتها الثمين يطقق بنصرها كمهمده به  
منذ أن أهداها إياه ، ولم يكن بالفرقة ما يسترعى  
البصر سوى بريق حجره الأخاذ  
وشعر بحنين إليها . ودهش لم تركتها وصيقاتها



## يَوْمَاتِي أَنَا فِي الْإِكْرَافِ

لِلأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

١٩ أكتوبر . . . . .

رأيت أن الطريق الوحيد بعد ذلك أن أبحث عن ذلك الخطاب الذي كان قد تقدم للبنت ريم . ولكن كيف نستدل عليه ونحن لا نعرف حتى اسمه ؟ فلنطلب إذن إلى المركز أن يأتي إلينا بأحد الجيران لعله يعرف الخطاب . وليكن الجار امرأة ؛ فان المرأة بطبعها فضولية ثائرة . فما من جارة لا نعرف أسماء الخطابين والخطوبات في الحارة .

ولكن هل أستطيع الآن أن أكاف المركز باحضار شاهد أو بالبحث عن مجرم ؟ إن السياسة وحدها هي كل شيء اليوم في المركز ؛ وإن أجد خفيرا يلقي بالآ إلى أوامر الساعة . فلنتصل نحن مباشرة

بجوار فراشه . لذلك أمسكت بيده بين يدي وهو يجود بنفسه . لقد ملكني الخوف وأنا أنتظر هنا وحيدة مع نفسي . طننت روحه تأتي فتفزعي . ولكن لا ، لقد ذهب إلى حيث لا رجعة . سترفرف

وحيدة . كان يجب ألا يفارقها في تلك الليلة المصيبة . وبدت له كأنها غارقة في أفكارها وهومها . ألا ليتها تسمعه صوتها الموسيقى الحنون ، أو حتى تردد اسمه

علينا السعادة بأجنحة من الحب بعد الآن ونزعت خاتمها ولتمته ثم قدمته إليه وهي تبكي وعند ما دقت الساعة تعلن انتصاف الليل نهض الحراس من نومهم فرأوا الملك راقدًا قد تغشاها جلال الموت . غير أنهم لمحو تغييراً عظيماً اعترى مجيئه ، فقالوا فيما بينهم :

بيد أنها كانت صامته صمت القبور وفزع الملك الحركة مباغتة . وفتح باب سرى في الجدار : باب سرى كان يظن أن أحداً لا يعلم به سواهما ؛ وداف منه رجل وانتصب أمامها . قرفعت إصبعها إلى فمها نوى إليه بالصمت . ثم ألتت بنفسها أخيراً بين ذراعيه :

يجب ألا ندع الملكة تراه ثانية

— هل عدت أخيراً ؟ كم أنا سعيدة ! عفواً يا حبيبي ! لقد كان على أن أفعل شيئاً وأنا جاثية

ترجمة : محمد عبد الفتاح محمد

بالقربة ونطلب إلى النقطة أن ترسل إلينا المرأة المطلوبة . وأمرت في الحال حاجبي فتقدم إلى آلة التليفون وأمسك بالبوب وجعل يصيح أكثر من ربع ساعة :

— يا نقطة ! يا نقطة ! ردى على يا نقطة ! البك الوكيل جنبى يا نقطة !

ولكن النقطة غضت طرفها الناعس عنا ولم تكلف نفسها عناء الرد علينا ؟ واشتد غيظ الحاجب وجمت يده تحرك جرس التليفون بقوة كادت تخلعه . وهو من طراز تليفونات المراكز التي لا توصل الكلام بين المتكلم والمخاطب حتى ينقطع نفس الاثنين من كثرة الصباح ، وحتى ينقطع جبل الحديث مائة مرة ومرة تشبك خلالها حبال أحاديث أخرى من بلاد أخرى ومن مصالح مختلفة . فبينما يدور الكلام حول إرسال متهم إذا صوت يجيب في مسألة متعلقة بتفتيش الرى وبالفتحات ونوبات الترع ، وإذا آخر يتكلم في أنغار القرعة وبطلب طلبات في لهجة الأمر والنهى . على أننا اليوم لا نلقى ردا على الإطلاق . ويد الجرس في يد الحاجب لا يقف لها دوران ، كأنه يدير طاحونة بن . ولا ينفك يصيح نارة مهددا ونارة متوسلا :

— أنا فى عرضك يا نقطة ! كلمة واحدة يا نقطة ! إخص عليك يا نقطة ! ردى على يا ...

فما تمالككت أن قلت :

— شىء لطيف ! ناقص تركع وتقول : « ردى على ياروح قلبى يا ست هانم يا نقطة ! »

— يظهر يا سمادة البك أن النقطة خالية من حضرة الملاحظ والبلوكامين والكل كايلى ...

— النقطة خالية ...

— أيام انتخاب ياسماده البك

— والعمل ؟

— نتصل بدوار العمد ونطالب النفر والحرمة

— اتصل

واستطعنا آخر الأمر أن نظفر بحضور الحرمة الجارة مع « مخصوص » وكان ميماد غداني قد حان . وكان قد أجهدى العمل المعتاد بالمكتب . أعنى تحقيق التزويرات وقضايا الربا الفاحش والتلبس الوارد من المركز من « إيراد » اليوم ، وأكثره الآن محاضر « تشرد » ضد الأهالي غير الموالين للحكومة القائمة . وما أسهل هذا السلاح وما أقواه في يد رجال الإدارة ! فان كل نجل كريم من أنجال الأعيان يمكن اتهامه بأنه لا يحترف صناعة ، ويمكن بذلك القبض عليه وحبسه أربعة أيام باذن النيابة لحين التحرى عنه وطاب صحيفة سوابقه من مصر . وأين هو وكيل النيابة الذى يمارض المركز اليوم في إصدار أوامر الحبس ؟ وقت للغداء بعد أن أصدرت من هذه ماشاء الله والمركز . وعدت بعد الظهر لسؤال المرأة ، فتكلمت كلاما كثيرا لم أخرج منه إلا أن الفتى المخاطب يدعى « حسين » وهو ليس من أهالي البلدة بل من بلدة مجاورة

— اسمه حسين إيه يا وليه ؟ فيه ميت حسين فى البلد . لقبه إيه ؟

— ما اعرفش لقبه ياسيدى . البنت قالت اسمه « حسين » وأنا مالى بقى أسأل عن أصله وفصله . أنا حرمة غلبانه فى حالى ، بعيد عنك ما أكره على إلا كثر الكلام . أنا طول عمرى يا سيدى فى الحارة ما أحشر نفسى فى كلام ولا فى سؤال . وأنا مالى قالوا يا داخل بين البصلة وقشرتها ...

زوجها ، ودنت من القاتل الحقيقي ومرت عليه مر  
الكرام ، ووصلت الى ذلك المسكين صاحب المستندات  
الذى ليس له فى الثور ولا فى الطحين ، فلكمته فى  
صدره لكمة كادت ترويه وصرخت بالصوت :

— غريمى

فأرتج على الرجل وقد فوجئ ثم تمالك وقال :

— يا سى أنا أعرفك ؟

فلم تسمع اليه المرأة ومضت تولول :

— غريمى دى . غريمى

والنفت الى الرجل كالاستجير :

— يا سيدى البك . انهضنى . أنا عمري

لا شفها ولا قاباتها ...

فقام وكيل النيابة وهو أنا ولا نخر بأسئلته  
« التجارية » المحفوظة عن ظهر قلب ، المتبرة من  
« روتين » العمل التى إذا لم تسأل أحصتها الرئاسة  
علينا هفوة ، وإن لم يكن هناك محل لتوجيهها ،  
أسئلة سخيفة لا تمنى شيئاً فى ذاتها ولكن القضاء  
بمتهرها مخرجة مضيقة على خناق المجرم :

— بينك وبينها ضغائن

— أبدا يا سيدى ولا أعرفها

فتمهات قليلا لى ألقى ذلك السؤال الذى  
يلقيه كل وكيل نيابة وكل قاض فى ثقة واطمئنان  
كأنما يلقى يده على الدليل المبين :

— إذن ما سبب ادعائها عليك ؟

— أنا عارف ، مصيبة على الصبح وارتعت على

— احجزه يا عسكري

— يحجزنى ؟ أنا يا سيدنا البك لى قضية

مدنية تحت . اعمل معروف خلينى أروح لشنلى

وألقى الرجل فى الحبس الاحتياطى . ونوديت

— اسكتى قلبت دماغى فى الفارغ ، داهية

تقلب دماغ الى طلبك . يعنى لو عرضنا عليك الولد  
تعرفيه ؟

— أعرفه يا سيدى . يانداه ! وأنا بقى

خلاص انعميت ... أنا كنت اسم الله على  
مقامك ...

— كفاية ... انت واحدة والله الحمد لا تجبى

كتر الكلام ولا ...

كتر كلام ... أبدا وحياة نرفك ... أنا باميد

عك من يوم ...

— بس !

وناديت الحاجب ، وأمرته بإخراج المرأة

واجلاسها فى الدهليز بجواره تنتظر حتى تطلب .

وكلفته بمخاربة الباردة التى فيها الفتى ليحضرها

الفتيان الذين يسمون فيها باسم « حسين » ممن

تنطبق أحوالهم وأوصافهم على ما لدينا من المعلومات .

وجاست أنتظر ساعة وأنا أفكر فى قيمة هذا

العرض « القانونى » . إنى لا أثق كثيرا بفراصة

هؤلاء النسوة . وما زلت أذكر قضية قتل أثنين فيها

بزوجة القتل وعرضنا عليها التهم بين أشخاص

آخرين جثنا بهم عفوا من قاعة الجلسة المدنية

المنعقدة فى صباح ذلك اليوم . وكان من بين هؤلاء

شخص منكود الطالع أنى يحمل مستندات شركته

فى جاموسة ويسمع الحكم على خصمه بالطلبات .

فاذا هو يجد نفسه قد زج بين الأنفار الذين أخذوا

من قاعة الجلسة ليقفوا فى صف طويل فى قاعة النيابة

وقد أخرج عليهم وكيل النيابة امرأة شطاء ،

وأمرها أن تبرز القاتل من بينهم . فتفرست المرأة

فى الوجوه وهى تدق صدرها وتدعو بالويل على قاتل

قضيته المدنية فلم يحضرها بالضرورة قشطت دعواه وجلس الرجل القرفصاء على الاسفات ومستنداته في يده يفكر فيما آل اليه حاله بلا مبرر ولا جبرية تذكرت ذلك وقالت في نفسها : « كلا لا ينبغي أن نبالغ في قيمة « العرض القانوني » إن هؤلاء الفلاحين بأعينهم التي أكلها الصديد منذ الطفولة ، ومداركهم التي تركت هملا على مدى حكم ولاية من جميع الأجناس لا يمكن أن يركن اليها في حكم أو تمييز . وهل هناك أعجب من « عرض قانوني » آخر قت به في قضية تزوير ، وكان التهم « أفنديا » وقد وضعت بين أشخاص مطربشين وجئت بالجنى عليه الفلاح وأمرته باخراج « غريمه » من بين هؤلاء ، فتفرس في الوجوه لحظة ثم ترك الصف بأكله ووقف تجاهي أنا وكيل النيابة المحقق وأطال النظر في وجهي وقد بدت في عينيه علامات الشك الذي سيثبته اليقين أنه وقع أخيرا على المجرم الحقيقي ، وكان حاضرا عندي وقتئذٍ أحد كبار مفتشي التبايات زائرا وقد أراد أن يشهد عملية العرض . فها أنى أن يطيل الرجل شكه في أنا فيبدو المفتش رأى لا أرضاء ، فانهزت الفلاح وأمرته أن ينظر في الصف الذي أمامه ويخرج منه التهم . فكان اللعين يمر بالصف سرا سريعا ويعود فيلقى بصره على ويفحصني من رأسي حتى إخص قدمي فخص المشتبه المستريب . وإن أنسى اضطرابي يومئذ .

وقلت في نفسي : « الله يكون في عون المروضين » ولم أجد عند ذاك مذدوحة من أنب أنهى عملية العرض في الحال قائلا في سرعة : « لم يستعرف الجنى عليه على أحد » وأمرت الحاضرين بالانصراف فخرج الرجل وهو ما زال يحنلس النظر . كلا إن تلك الاجراءات التي تتبع في أعمالنا القضائية

طبقا للقوانين الحديثة ينبغي أن يرعى في تطبيقها عقلية هؤلاء الناس ومدى إدراكهم وقدرتهم الذهنية

وحضر المطلوبون وأوقفهم في صف طويل وأدخلنا المرأة فتقدمت وهي تقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

ولم أترك لها مجالاً للثرثرة . فقد انتهى بها :

— كلمة ورد غطاها ياولية . من في الحاضرين الخاطب ؟ ...

فدنت من أقرب الفتيان إليها ونظرت إليه بعينها « العمشاء » نظرة « المرضحالي الأضباش » إلى « عربضة » يرفعها في يده حتى تمس أنفه . وقالت له في صوت خافت تريد ألا يصل إلى مسامعي :

— أنت « يا ادلمدى » مش اسمك حسين ؟ فأدركت في الحال مبلغ علم المرأة بما انتدبت لأجله وقالت لها في شدة :

— كل الجدعان اللئيم قدامك يا ياولية اسمهم حسين — قطيعة !

لفظتها المرأة في صوت الواقع في حيرة من أمره . ثم اتجهت الى التالي وسألته :

— انت منين يا جدد انت ؟

فأجابها الرجل في صوت هادئ :

— من امبابة يا سقى !

فكانت على الفور في لهجة الجد :

— دى بلد الحخير يا جدعان . دا كان مرة « ادلمدى » جوزى اشترى منها حمار ...

فلم أعالك أن صحت :

— أخرجى يا « قرشانه » يا « وحشة »

يا قليلة الحيا ... ضيعت وقتنا ، نهار بحاله .

إلخص على دى شهود ... !

قلتها من غيظي وأما ليس من عادتي « القباحة »  
ولكن هذه المرأة التي أفهمتي أنها رأت الخاطب  
بمعينها وتعرفه إذا حضر أمامها قد اتضح الساءة  
أنها لا تعرف إلا اسمه . وحتى هذا الاسم لا يتر  
« حسين » من أدرانا إذا كان هو اسمه الحقيقي  
أو أنها كلمة ألقتها على عواهنها هذه المرأة « الهجاصة »  
وسألت الحاضرين عن الخاطب فلم أجد بينهم من  
يفهم غرضي أو من يعرف شيئاً عن الموضوع .  
فصرفتهم . ولم أكد أخلو إلى نفسي وأفكر فيما  
ينبغي عمله بعد ذلك ، حتى فتح الباب ودخل على  
مساعدى آنياً من البندر حيث كان يتراعى في قضايا  
الجنائيات التي أحلتها عليه . وقد رأيت وجهه نظراً  
مشرقاً . وابتدوني قائلاً :

— البنادر هي النعيم . يا خسارة رجعنا بسرعة

إلى جحيم الريف

— أخذت أحكام براءة

— أما نزلت في أحسن بانسيون وصرفت

ضئف بدل السفيرة

— رد على سؤالي . القضايا عملت فيها إبه ؟

فوجم الشاب قليلاً ، ولم يكن ينتظر مني الكلام  
في العمل والجد منذ اللحظة الأولى . وكان يحسن  
بي فعلاً أن أكون به لطيفاً رقيقاً ولكن القضية  
التي في يدي أتمت أعصابي ، أو لعل شيئاً من الحسد  
الخفي قام في نفسي إذ رأيت هذا الفتى عائداً كالزهرة  
المشرقة من ذلك النعيم الذي يقول عنه بينما أنا  
راسف في أغلال الوظيفة غارق في عمل ذي مسؤولية  
لا يقف ولا ينتهي . وتنبت مع ذلك لحشونتي  
وأردت أن أبتمس وأن أكلم في غير القضايا . ولكن  
المناسبة كانت قد فانت . ومضى المساعد يحدثني

عن القضية التي ترافع فيها قائلاً إن التهم فيها قد  
حكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة لأنه قتل رجلاً في  
نظير مبالغ خمسة جنهات . فالقاتل رجل سوداني  
بدوى قوى الجسم يحترف إزهاق الأرواح . وقد  
انفق معه أحد الفلاحين على قتل خصم له وحررت  
الكبيالة بثمان « الروح » . وانطلق ذلك المحترف  
حاملًا بدقيته كما يحمل الفنان قيثارته ، ووقف بها  
تحت نافذة المسجد حتى دخلت « الروح » الغالية  
وسجدت تصلي فأرسل إليها الصياد من بين قضبان  
النافذة قبلة واحدة ذات صفيح من « ماسورة »  
أرغوله الجهنمي كانت فيها الكفاية . وهي صناعة  
تحتاج إلى ثبات يد ، كصناعة النجارة ؛ فالنجار  
الحاذق يضرب المسار ضربة واحدة لا عوج فيها  
ولا ميل ، تصيب اللوح في الصميم . وكان مصير  
هذا الدم الضياع كالمعتاد ومآل القضية البراءة ، لولا  
خلاف دب بين البائع والمشتري . فالقاتل سلم  
« البضاعة » حاضرة . ولكن المشتري مطل بالثمن .  
ولم يطلق القاتل المحترف صبراً على هذا « الزبون »  
المتوقف عن الدفع فصاح به وسط الجاسة غير مراعى  
حرمة قضاء ولا قضاة ...

— عازني أقتله لك لوجه الله ؟

وترك « زبونه » والتفت إلى هيئة المحاكمة :

— اشهدوا يا ناس على قلة الشرف . أنا أستحق

الشنق ؟ إلى ما قبضت مقدم . هو يخرب البيوت

إلا الشكك

ونحكت قليلاً أنا ومساعدى . وقد أبدت له

ملاحظتي على هذه التجارة أو الصناعة المعروفة في

الريف . وهي الاستئجار على القتل . إن الفلاح العبرى

يلجأ كثيراً إلى محترف بقتل له . كما كان بعض ملوكنا

الأقدمين يلجأون إلى الجنود المرتقة . أهو نقص

واقداً أخبرني فعلاً أحد المستشارين من أهل الصراحة  
انه بعد أن نطق ذات مرة بالحكم في جنابة خطيرة  
ورجع لبلال الى مكتبه وورقه وملفات القضية ليكتب  
الحيثيات ، وقع نظره على أقوال وعبارات في محضر  
جلسة اليوم ، وفي المحاضر السابقة ، وفي تحقيق النيابة  
استخلص منها تفكيره الهادئ الرزين في ذلك الليل  
الساجي ما لو عرفه قبل النطق بالحكم لكان حكمه  
قد تبدل وتبدل . ولكن ما العمل الآن وقد تم  
النطق بالحكم وما من سبيل الى تغييره بأي حال ؟  
لا يستطيع أن يصنع شيئاً . فجعل همه تلك الليلة  
أن يستخرج من الأوراق جميع الأسباب التي  
يبرر بها النطق بالحكم . وكمن من الحيثيات الطويلة  
تكتب تبريراً وتدعيماً للحكم سريع مغى النطق به ،  
لا تفسيراً لمدالة ولا تمحيصاً لحقيقة ...

( يتبع )  
نوفيس الحكيم

خاف في الفلاح يضاف الى أمراضه الجثمانية والفكرية  
والاجتماعية الكثيرة . أم انها قلة مقدرة وضد  
ثقة بالنفس منشؤها اشتغاله بأعمال العبيد من قديم  
في الأرض والزراعة وترك الفروسية والجنسية  
للمفجرين وأقربهم بنا عهدا الاعراب والأتراك .  
ان الملاحظة على أشهر محترفي القتل في الأرياف أنهم  
من دم أجنبي . أم ان الفلاح يحب السلام ويألف  
أن يزاول سفك الدماء بيده التي تبذر البذر ويخرج  
منها الخير . است أدري . إن الأمر يحتاج الى درس  
خاص . ويكفينا نحن المتصانين بهذه المسائل أن  
لا نمر عليها بغير ملاحظة . وقد أفهمت مساعدى  
أن مهنتنا سخية بمادة البحث والملاحظة . وإنه طول  
حياته بها لا ينبغي أن يسير مغمض العينين . فهي  
خير مهنة تكون الرجل تكويناً صحيحاً . فوكيل  
النيابة إن هو إلا حاكم صغير في مملكة صغيرة إذا

فهم كل شيء في هذه المملكة ، ولا حظ كل  
شيء ودرس الناس وطباعهم وغلرائهم ، فقد  
استطاع بعد ذلك أن يعرف تلك المملكة  
الكبيرة التي هي دولته . بل استطاع أن يفهم  
ذلك العالم الأوسع الذي هو « الإنسانية » .  
ولكن كم من رجال النيابة أو القضاء يستطيع  
أن يلاحظ ان قوة الملاحظة هي أيضاً هبة  
عظيمة لا يملكها كل الناس . وقد وعى  
مساعدى هذا الكلام وهو على قسط وافر من  
الدكاء . فأترق قليلاً ثم رفع رأسه وأخبرني  
أنه لاحظ أمراً استوقف تفكيره في جلسة  
الجنابات ، ذلك أن المستشارين ينطقون بادی  
بدىء بالحكم . ثم ينصرفون بعد ذلك الى  
كتابة الأسباب . والنطق الذي يتصوره  
هو أن يكون الأمر على العكس . ملاحظة قيمة .

## فصل في خضير

٥٦٥  
٥٦٥



١٠٥٧  
صندوق بولس

بريشة ذهب عيكار ١٤

مضمون ٣ سنوات

تستعمله الحكيم كومان شرقية  
مكتبه وطبعة خضير بشاع عبد العزيز بصر

# الحياة

لؤسان إبراهيم عبد القادر المازني



وما إليها ، وأن تقوم بما تقتضيه الخدمة . وكان أصدقاءها كثيرين فسرهم هذا وارتاحوا له وأقبلوا على « ناديا » ليساعدها ، وآثروه على الأندية المفتوحة بلا قيد ولا شرط ، أو كما قال بعضهم : « لكل من هب ودب » فصاح حالها بذلك حتى لقد احتاجت أن تنتقل الى شقة واسعة كثيرة الغرف والشرفات . وصار السامعون - على الأيام - خير زبائنهم وأسخاهم يدا ، فقد كان أكثر من عداهم يحمل معه ، وهو خارج ، ما بقي من طعامه وشرايه ؛ أما أولئك فقد كانوا يتركون الباقي ، ولا يفوتهم أن يحسنوا تجزئة الخدمات ؛ وكثيراً ما كانوا يملكون إلى « صفية » أعداد الطعام والشراب اللذين يريدونهما ، فيكون لها من ذلك ربح آخر . وقلما كانوا يكتبون بنصف الريال المطلوب

ولم تكن « صفية » كبيرة السن أو دميمة ، ولكنها كانت قد قامت سن الاقبال عليها من الشبان وبلغت سنًا تحتاج فيها الى المحاورة والمداورة ، وتأكيدها الحسن ، وإبراز المفاتيح ، فكانت لا تزال تدخل غرفة وتخرج من أخرى ، وتحبى هذا وتلاطف ذاك ، وتحمل بيدها البضعة السكوب أو الطبق لتجىء بغيره ، وتنحى الخادمة وتلقى الابتسامات هنا وهناك ، وتخطر في شغوفها المحبوك التفصيل . ومن

كان الحاضرون يجلسون حيث شاءوا من غرف الشقة الرحبة ، فقد فتحت كلها - ماعدا غرفة النوم - وكان كل اثنين - كل فتاة وفتى - يختاران المكان الذي يريانه أوفق لهما وأطيب . فتحمل إليهما الخادمة طاولة صغيرة وترص عليها ما يحتاجان إليه من أطباق وأكواب ، ثم تجيئهما بشرابهما وطعامهما اللذين دخلا بهما ، فيأكلان ويشربان ويسمران ويرقصان - فان في البيت فونفرافاً لا يستريح - ويظللان كذلك - « في خجور وفي أمور » كما يقول ابن الرومي - الليل كله أو بعضه ؛ ثم ينصرفان راضيين شاكرين . فقد كان هذا اتفاق « صوفي » أو « صفية » - كما تؤثر أن تسمى نفسها - مع ضيوفها ، وكانت خياطة وكان الحال حسناً ، والأيام مقبلة عليها ، فجاءت من هي أبرع منها وأكيس وأبقى وأقدر على الاستيلاء على أهواء الزبائن فركدت السوق وقل العمل ونضب المين ؛ ثم خطر لها ان تسمح لعارفها من الجنسين ان يسمروا عندها ليلتين في الأسبوع - السبت والأحد - أى أن تجمل من شقتها نادياً خاصاً ، واشترطت أن تتقاضى من كل واحد وواحدة نصف ريال ، ولضيوفها أن يجيئوا بما يشاءون من طعام وشراب ، وعليها هي أن تعد لهم الأواني والأدوات

أدري منها بابرار خطوط الجسم الجليل ، واستدارات  
القدر الرشيق ، وإكساب الأنداء والأرداف فتنة  
فوق فتنها الطبيعية ؟

وكان بعض ضيوفها يأتون فرادى اكتفاء بما  
يعلمون أنهم يفيدونه عندها على كل حال من الأنس  
والبهجة ، فما كان يدخل هذا البيت غريب عن رواده ،  
فكان المستفرد الوحيد يستطيع أن ينتقل من مجلس  
إلى مجلس ، وأن يماث أو يضاحك أو يسامر  
أو يراقص من شاء . وكان من هؤلاء عبد الحميد -  
أو عبده كما كان يسمى في العادة - ولم يكن يعرف  
من الموجودين إلا اثنين - « دافيد » الذي جاء به  
« ورشحه » في مرة سابقة ، و « صفية » ربة البيت .  
وكانت « صفية » قد أعجبها شكله ووقع من نفسها  
هدوؤه وسكون طائرته في الأغلب ، وما يبدو عليه من  
قوة الجسم والارادة معاً . وكان قليل الشراب نزر  
الحديث ، ولكنه لم يكن على هذا لا جامداً ولا فاتراً  
ولا صارم الجذ ، فكانت صفية تقبل عليه وتحاول  
أن تحل عنده محل صاحبة التي لم يحجى بها ،  
ولا تتركه إلا للحظات قصيرة للعناية بغيره إذا بدت  
لها حاجة الى ذلك . وقالت له مرة :

« لماذا تحبني وحدك ؟ »

فلم يدر ما مرادها ، ونظر إليها - أنارها  
النظر - قبل أن يجيب ثم آثر الملاطفة فقال :

« وهل أنا وحدي ؟ »

فسرها جوابه ، وظنت أنه قانع بمجلسها  
وحديثها ، وراحت تمني نفسها الأمانى ، فقد توسمت  
فيه - من مظهره - الفنى ، وأنست من سيرته  
الجود . وإنها تهتم بكلام مناسب ، وإذا بالباب  
يفتح ، وإذا بثنين يدخلان - رجل وفتاة - وكان  
لا شك في أن الرجل سكران طافح ، فما كانت  
رجالاه تحملاه إلا بجهد ، وإلا بفضل الفتاة التي

تسندنه وتقوم اعوجاجه . ولم يكده عبده يراها حتى  
نهض وتناول ذراع الرجل وقال له بمحبة :

« ما هذا الذي صنعت بنفسك ؟ كيف تجرؤ  
أن تحبني إلى هنا وأنت على هذا الحال ؟ »

فقال الرجل وهو ينحط على أقرب كرسي :

« إيه ؟ مالي ؟ »

فقال عبده : « ألا تحجل أن تحمل هذه الفتاة  
عبء جسمك الثقيل ؟ »

فزام الرجل وأدار عينه في الغرفة ، ثم كأنما  
أحس أن جفونه ثقيلة ، فأغمض عينيه ، ورد رأسه  
إلى ظهر الكرسي ، فهزه عبده هزاً عنيفاً ، وصاح  
به يدعوهُ أن يتنبه وبقيق ، فأشار إليه الرجل أن  
يبعد عنه ، فعاد عبده يقول كأنما يحدث نفسه :

« ولكن الفتاة ؟ كيف تكلفها أن تحتمل منك  
هذا الحال ؟ »

فقال الرجل : « مالها ؟ إنها رابحة على كل حال »  
فدهش عبده ونظر منه إلى الفتاة ، ثم كأنما

خطر له خاطر فقال لصفية : « اجعلي بالك إليه ..  
إنه صديق لي . اعتنى به . أرجوك »

والتفت إلى الفتاة وقال لها : « تعالى معي ..  
إن بقاءك معه وهو على هذه الحال لا يابق .. تعالى

نقف في الشرفة »  
وأشار إليها فشت أمامه إلى حيث أوما ، فلما

صارا وحدهما قال لها : « هل جئت إلى هنا من قبل ؟ »  
قالت : « أبدا »

قال : « هل تعرفين أحمد هذا ؟ »  
قالت : « عرفته اليوم من صديقة لي »

قال : « من أنت ؟ »  
قالت وهي تبتسم : « إنك شديد الفضول »  
قال : « لأن تعرفي صاحباً بي ما يقول ويفعل ،  
خير فيما أظن من أن تعرفي من لا يكاد يبي »

من المساحيق . وسره على الخصوص أنه لم ير على شففتها أثر الأثر وأن حاجبها طبيعياً

وقال لها : « ما اسمك ؟ »

فضحكت وقالت : « لكأنك أبى »

فقال : « لا تضحكى . واسمى . . قد يكون

فضولى قليلاً . . . ولكن مجيئك مع هذا السكران . . . »

فقاطعت : « هل المجيء الى هنا عيب ؟ »

فقال : « لا . لست أزعم ذلك . . إن المكان

لا عيب فيه . . نادى أكثر ولا أقل . . ولكنه

خاص . . ليس لكل الناس . . . ولكن أين

كنت مع أحمد ؟ . . أين سكر الى هذا الحد ؟ . . »

فقلت : « اسمع . . . إني كذبت حين قلت

إني عرفت من صديقة لى . . الحقيقة أنى لم أره إلا

منذ ربع ساعة . . . أى قبل أن تدخل هنا بدقائق »

فقال : « هذا أدهى . . كيف اتفق ذلك ؟

أعنى هل عادتك أن تمرق من يشاء أن يعرفك ؟ »

قلت : « لك العذر . وعبت أن أقول شيئاً .

هل تسمح لى أن أخرج ؟ »

فاعتذر اليها ، ولكنه ألح عليها أن تقول له

ماذا كان أحمد يعنى بقوله إنها رابحة على كل حال

فقلت ببساطة : « أقول لك الحق إنى لأدري .

إنه صاحبك فسله بعد أن يفيق »

وهت بأن تمضى عنه ، فتعاق بها وراح يطأها

بأن تقول له كيف جاءت الى هنا مع أحمد ؟ فقلت

هل تصدقنى إذا قلت لك إنى أنا مستغربة ، وإنى

لا أعرف كيف اتفق أن يحدث هذا ؟ »

فأحس من نبرة صوتها أنها صادقة ، وقرأ فى

عينها الصراحة فقال لها : « مالك ؟ حدثينى »

قابتسمت ، ولكن ابتسامتها كان فيها من

فضحكت ضحكة رقيقة خافتة وقالت : « أظن أن الأمر على العكس : »

فقال : « هل تمنين أن تقولى إنه لا يعرف من أنت ؟ »

قلت : « هذا ما أعنى . إنك ذكى »

قال : « وماذا كان يعنى بقوله إنك رابحة على كل حال ؟ »

فأطرقت قليلاً وقالت : « إن اهتمامك بهذا

بأمري يسرنى ، ولكن هل من الضرورى أن تمضى

فى التحقيق إلى النهاية ؟ »

قال : « عفواً ولكن الكلمة محيية . . وأنا

أخشى أن تكون . . أن يكون . . »

وأمسك . وماذا عسى أن يقول ؟ إن هذه

أول مرة يلقاها فيها ، وليس من اللائق على كل

حال أن ينتحل لنفسه حق القيم عليها ؛ ولكنها

كانت جميلة ، وكانت ثيابها تدل على النعمة والترف ،

وقد تجد كثيرات يلبسن من الثياب أغلاها وأنفسها

ولا يكن مع ذلك فيها إلا كاستعيرات لها ؛ أما هذه

الفتاة الصغيرة السن فيبدو للنظر إليها — من

النظرة الأولى — أنها ألفت النعمة والترف ، وأنها

نشأت فى أحضانها . وكان قوامها ليناً ، وقدها

صغيراً ؛ وكان ثديها راسخين من غير أن يحسهما

أو يرفعهما شيء . وقد وقعت عين عبده عليهما ،

أول ما وقعت على شيء ، فيها ، ففطن إلى دلالة ذلك

وأدرك أن هذه الفتاة لا يمكن أن تكون إلا غريبة

على الرغم من ذلاقة لسانها . وهل يعقل أن يظل

الثديان راسخين على الرغم من امتداد الأيدي اليهما

وكثرة العبث بهما ؟ أبدأ . . أبدأ . . كذلك كان

يحدث نفسه وهو يكامها ويحدث فى وجهها الدقيق

المعارف ، المشرق الديباجة ، الصابح ، بغير معونة

أن يذكر لها رقم تليفونه وينسى أن يذكر لها اسمه ، وأن تقيدها هي الرقم ولا تسأل عن الاسم الذي ينبغي أن تذكره وتطلب أن تكلمه ؛ ولم تكدها تنقيب عن نظره وتذهب إلى حيث لا يدري ، حتى فطن إلى هذا السهو ، وأيقن أنه قد فقدها إلى الأبد ، إلا أن يشاء الله أن يلتقي بها اتفاقاً في الطريق فراح يمدو في الشوارع كالجنون لعله يدرکها ، ولكنه لم يكن يعرف أن بيت قريب لها في هذه الناحية ، وأنها دخلته قبل أن يدرك ما فاتته ويشعر في العدو ... احتياطاً منها لهذا ...

ومن المبالغة أن نقول إنه أحبها ، فقد كانت حصانة نفسه عظيمة ؛ ونعني بذلك أنه لا يشق من النظرة الأولى ، وأن تجاربه علمته الحذر ، وعودته الشك والاسترابة ، ومالت به إلى تاتي الحياة كما يتفق أن تكون وبغير احتفال كبير ، ولكنه لا شك في أن هذه الفتاة وقعت من نفسه واستوت على جانب منها ، أو احتلت مكاناً فيها . وكان يعرف فتيات كثيرات يأنس بهن ويسر بمجلسهن ، ويقضي الساعة والساعتين معهن في سمر وضحك ولعب ؛ وكانت له سيارة لاهي بالفخمة جداً ، ولا بالتى يحق لأحد أن يزدريها ؛ وكان يؤثر أن يحمل التى يتفق أن تكون معه إلى حيث يشاء هو ، ولا يخطر له أن يسألها أين تحب أن تذهب ، ولا يترك لها الخيار ، ولكنه لم يكن يفعل ذلك عن جفوة في طبعه ، أو عجرفة أو ما يجري هذا الجرى ، بل لأنه اعتاد أن يكون الزمام في يده ؛ ولكن هؤلاء الفتيات اللواتي يعرفهن كن لا يعجبينه ولا يرضى بهن ذوقه ، وكان بعض إخوانه الذين يعرفون سلامة ذوقه يقولون له : « ماذا يعجبك في هذه ؟ » — مثلاً — فيقول وهو يضحك : « ليس لي في الأمر خيار ... هذا ما وفقني إليه الله ... »

الكتابة أكثر مما كان فيها من السرور ؛ وقالت : « هل أروى لك قصة حياتي منذ ولدتني أمي ؟ » فقال : « يسرنى أن أصنى »

قالت وهي تضحك : « ليس الآن ... يجب أن أخرج ... لقد كنت مجنونة ... أشكرك على عنايتك بي .. فضولك رد إلى العقل ... نعم كنت مجنونة ... لا بأس ... حصل خير ... فهل أعتمد عليك ؟ هل تسمح أن أخرج بي ؟ تخرجني ؟ يجب أن أعود »

فقال : « تعالى » ومضى بها إلى باب الشقة ، ولم يعن بأن يحمي صفيته وهو خارج ؛ وكانت صفيته تنظر إليه وإلى الفتاة بعين النعمة والحنق ، فقد ساءها منه أنه وكل إليها العناية بصاحبه السكران وينصرف هو عنها . وجمت تسأل نفسها لماذا لم بكل هذه العناية إلى الفتاة وهي كانت معه ؟ ... كيف يرى عليها هذه الجثة ، ويروح هو يخطف الفتاة من صديقه ؟ وأسرتها في نفسها وحقدتها ، فقد كانت لها مآرب فيه

وحاول عبده أن يقنع الفتاة بأن تذهب معه إلى السينما ، فقد كانت الساعة دون التاسعة ، ففي الوقت متسع ، أو أن يتمشى معها في شوارع غمرة وهي مضادة ولكنها كالظلمة ، وكانا قريبين من هذا الحى ، ولكنها أبت وأصرت على العود إلى البيت ، ورجت منه ألا يرافقها ، وأخيراً — وبعد اللتيا والتي — رضيت أن تقيده رقم تليفونه وأن تعد بأن تكلمه « يوماً ما »

\*\*\*

ترکها وهو لا يعرف من هي ، وهي لا تعرف من هو . فأما هو فألح عليها بلا جدوى أن تخبره من عسى أن تكون ؛ وأما هي فلا تحتاج أن تقول إنها لم تحاول أن تعرف اسمه . وكان من الغريب

ذلك بقى كما هو فلم يضمف اعتقاده بأنه فقد درة  
ومضت الأيام ، وكان قلما يتلبث في مكتبه  
لكثرة ما تحوجه أعماله إلى الخروج . وكان إخوانه  
يقولون له محتجين عليه : « يا أخى أين تذهب ؟  
كلما جئنا أو سأنا عنك بالتليفون قيل لنا خرج »  
فيقول لهم : « وما حيلتى ؟ . مطالب العميل  
تضطرنى إلى النط هنا وهنا ؛ ولا سبيل إلى إنجاز  
أعمالى إلا إذا تعهدتها بنفسى » ، ولكنه بعد أن  
قابل الفتاة وجد الوسيلة إلى القعود والاستغناء عن  
الخروج ، واكتفى بالتليفون وبمساعديه في  
المكتب . وكان قلما يغادر الغرفة التى فيها التليفون  
مخافة أن يتفق أن تكلمه فلا يحسن غيره جوابها  
لأنها لا تعرف اسمه . . فتأله ما كان أحقه .  
كيف تركها تذهب قبل أن تعرف اسمه ؟ ولم يكن  
طريقه من غمرة ولا غير هامما هو قريب منها ، فقد  
كان بيته في شبرا ، ولكنه صار يذهب إلى شبرا  
عن طريق غمرة ، ويجوب بسيارته كل شارع وزقاق  
في هذا الحى . وكان كثيرا ما يترك السيارة ويعطى  
على مهل وعينه إلى النوافذ والشرفات . وكان ربما  
قال لنفسه : إنه أبله . . ومن أدراه أن بيتها في هذا  
الحى ؟ ثم يعود فيقول لنفسه : إن هذا هو الأرجح .  
فقد قالت له إنها التقت بأحمد قبل أن يدخل بيت  
صفية بدقائق ؛ والمعقول أن تكون راجعة إلى بيتها ،  
وإلا فإذا كانت فتاة مثلاً تصنع فى حى غمرة فى  
الساعة الثامنة مساء ؟ . ثم يعود فيقول لنفسه :  
لعلها كانت عند قريب لها أو فى بيت نسيب  
أو صديقة ؟ . ولم يمنعه هذا الاضطراب أن يظل  
يجوب الحى كل يوم ، وكل ليلة ، مرات ، ولكنه  
لم يفز بشئ .

وقال لنفسه عصر يوم وهو ماض إلى مكتبه في  
شارع عبدالعزيز : « القاهرة واسعة . . فيها ما يوت

وعصفور فى اليد خير من ألف على الشجرة » ،  
وكان يدرك أن إخوانه على حق ، وأن اللواتى  
يعرفهن لسن أهلاً لأن ينفق فى سبيلهن وقته  
وماله . . ولكن ماذا يصنع ؟ . أتى له أن  
يصل أسبابه بأسباب فتاة من الطراز الذى هو  
أحب إليه ؟ إن هذا يتطلب أن يعيش المرء المرأة ،  
أى أن يجعل همه ووكده أن يتصل بالنساء . وهذا  
ممكن ، ولكنه عسير عليه ، فقد كان هناك عمله ،  
وخليق به إذا أهمله أن يفقد رزقه . وكان فيه فوق  
ذلك حياء ، كان فى أول الأمر شديداً ، ثم غلبه  
وقهره ، إلى حد كبير ؛ غير أن حيائه لم يذهب  
وإنما بقى كامناً ؛ فكانت تعتربه منه نوبات — إذا  
صح هذا التعبير — تفسد عليه كل ما عالج به نفسه  
وراضها عليه أو ظن أنه راضها عليه . وكانت هذه  
الفتاة التى رآها فى بيت « صفية » من الطراز  
الذى يشبهه ويصبو إليه — الجسم الصغير والقدر  
المعتدل والخلق المستوى — وشام الخير من لمحاتها ،  
وآنس من كلامها الرشيد . ولا ريب أن مجيئها مع  
أحمد — ذلك السكران — كان خفة وطيشاً ،  
ولكنه صدق أنها جاءت معه لا تدرى كيف . .  
ومن يدرى ؟ لعل نوبة اضطراب نفسى عمرتها  
فأقدمت على ما كانت خليقة أن تحجم عنه لو كانت  
متزنة الأعصاب . . على كل حال قد ذهبت الآن .  
وأكبر الظن أنها لن تلقاه . . حظ ! ! درة ظل  
حياته يغوص على مثاليها فى لج الحياة ، ثم لم يكده  
بظفرها حتى حرما . . ولكن هل هى درة ؟ .  
بلا شك . . ولم يعجبه هذا التسرع ، وقال لنفسه :  
إن شـموره بالحرمان الذى مـنى به هو الذى يحمله  
على المغالاة بقيمتها . واقتنع بهذا — اقتنع عقله  
بأن الحسرة والأمل هما اللذان يميلان به إلى المبالغة  
والتعجل والقول بما لا يعلم — ولكن شعوره مع

لست فاهمة . . معذرة »  
فأدرك أنه تهور ، وأنه لا معنى لتحميلها تبعة  
ما اقى في تلك الأيام . وكان الدق الذي في قلبه قد  
هدأ ، وأنفاسه قد انتظمت فقال : « معذرة . .  
لا تؤاخذيني . . إنما عنيت أني تعبت في البحث  
عنك . . أوه كل يوم . . وكل ليلة . . لم أدع شارعاً  
من شوارع غمرة إلا مشيت فيه صرات بمسدد  
شعر رأسي »

فقلت : « غمرة ؟ . ( وضحكت ) إن بقي في  
المنشية . . ولكن لماذا أتعبت نفسك ؟ »  
وكانت عيناه قد اتسعتا جدا ، وهو يسمعهما  
تقول ان بيتهما في المنشية ؛ ثم فطن الى ما في ذلك  
من سخر القدر ، فابتسم وقال لها : « لأنك أخلفت  
وعدك . . ألا تذكريني ؟ . ما علينا ! . والآن قد  
وجدتك فالى أين ؟ »

قالت : « إني ذاهبة لشراء أشياء »  
قال : « أحملك في سيارتي الى حيث تريدني  
فاني أكره أن أكلبك في الطريق . . . لأجلك  
لا لأجلي »

وأقنعهما فركبت معه ، وقال لنفسه إنها دقائق  
ليس إلا ، فلأبج لها بما أجن من الشوق ، وراح  
يصف كيف كان يصبو إليها ، ويتلهف على رؤيتها ،  
وكيف كان ينتظر بجانب التليفون كل يوم ساعات ،  
وكيف كان يمشي في غمرة محققا في البيوت ، أي في  
شرفاتها وشبابيكها ، ويصطدم بالناس والأشياء  
ولا يبالي أو يعتذر

وكانت تنصت ولا تقاطع ، فلما فرغ قالت له :  
« هل تريد أن تضحك علي ؟ »

قال وهو كالمذهول : « أضحك ؟ »  
فقلت وقد أيقنت من هيئته أنه صادق : « اني  
أصدقك . . ولكن أليس هذا غريباً ؟ . . انه

وربع مليون نسمة فلا أمل في لقائها إلا بمعجزة . .  
وأولى بي أن أركب عن البحث فانه عناء باطل . .  
ولأسهل من ذلك أن ألتبس إبرة في كوم من القش . .  
وكان قد بلغ العتبة الخضراء فتذكر أنه لم يحلق  
ذقنه ، فترك السيارة الى جانب الرصيف الأيسر  
المحاذي لخط الترام ، وذهب الى دكان حلاق وهو  
يحادث نفسه بأنه سيخيف . . يخرج من البيت من  
غير أن يحلق . . « لنفرض اني التقيت بها فهل  
أقابها بهذا الوجه القذر ؟ . » وضحك من نفسه  
وهو يقعد على كرسي الحلاقة وقال — لنفسه  
طبعاً — : « يعني خلاص ؟ . لم يبق إلا حلاقة  
الدق ؟ . أهذا كل ما كان يمنع ان ألقاها ؟ . أما  
إني لسيخيف »

وكان يبتسم والحلاق يجري الموسيقى على صفحة  
خده فيضطر أن يرفع يده حتى يعود جلد الوجه الى  
اللاسة بعد التقبض . ومن يدرى ماذا كان الحلاق  
يقول لنفسه وهو يرى هذا الزبون الطاريء يبتسم  
أو يمس بلا مناسبة ؟ . . .

وخرج ومشى مطرقاً الى السيارة ، ووقف  
أمام بابها ليفتحه ، ويركب ، وإذا به يرى الفتاة  
واقفة على رصيف الترام . وكانت وحدها أيضاً ! .  
أو على الأقل لم يكن الى جانبها أحد لا من هنا  
ولا من هنا . . . فذهب يمدو إليها وقال لها وهو  
ينهج — لامن الجرى بل من الاضطراب المصبي —  
وقلبه يدق كالمطرقة

« أنت فين ؟ . هلكتي »  
فالتفتت إليه مستغربة ، أول الأمر ، ثم عرفته  
فقلت ببساطة : « آه . . . أهو أنت ؟ . سلامات »  
قال : « سلامات إيه وهباب إيه ؟ . بمجيبك  
كده ؟ . أما مت . . »  
فقلت بدهشة — وقطبت — « مت ؟ .

مفاجأة لي أنا على الأقل»

فقال باختلاص : « لقد كانت مفاجأتى أنا أقوى ... لم أكن أتصور أن يحدث لي هذا ... أن أحب من النظرة الأولى ... كان هذا يبدو لي مستحيلاً ... ولكن الأيام توالى وأنا لا أزداد الا شففاً ... لم يفتر شوق اليك وذكرك لك ... لم تهت صورتك ... بل صارت أقوى وأسحر ... لا أدري كيف ... »

فقالت فجأة : « اسمع ... اذهب الى الجزيرة » فكاد يطير من الفرح ، وبلغها في أوجز وقت ، ولم يلبأ بالمارة ولا بشرطة المرور ؛ وكانت تبسم إذ تراه لا يتكلم ولا يعنى بشيء إلا أن يبلغ الجزيرة في مثل ومض البرق . ووقف هناك فقالت : « لا ... لا يحسن أن تمشى على مهل ... أو قف ... لا بأس ... » وسره وهو جالس إلى جانبها في السيارة أن يسمعا تقول له : « إنى أخشى سوء ظنك ولذلك أرى أن أروى لك قصتى ... لن أذكر أسماء ... القصة فقط ... »

فهز رأسه مغتبطاً ... أليست قد صارت بمنى أن يحسن رأيه فيها ... حسبته هذا ... » وروت له قصتها فقالت : إنها كانت مخطوبة لشاب من أسرة كريمة غنية ، وإنهما تحابا بعد الخطوبة ، فما رآته قبلها ، ومضت الأيام وكرت الليالى ، وكانت تلاحظ مستغربة أنه لا يذهب معها الى سينما أو مسرح ، أو يخرج معها للتنزه ، وكان يعتذر دائماً بالعمل وضروراته ، فكانت تقبل عذره ولا تلح عليه ، ولا تميز الأمر أدنى تفكير ، حتى كانت الليلة التي رآها فيها في بيت صافية ، وكانت في السينما مع أمها ، وإذا بخطيبها يدخل وذراعه حول ذراع فتاة اسرائيلية — هي اسرائيلية على التحقيق ، سحنتها تدل على ذلك — وكانت الأنوار قد أطفئت

لأن السينما كانت قد بدأت تجلسا وراءها ، فلم يبق لها عين ترى السينما بها ، ولا عقل يفهم ، ولا أذن تسمع إلى ما يهمس به خطيبها في أذن صاحبه فسمعت ما فهمت منه — على الرغم من تقطع الكلام وضجة السينما ، أنه سيظل وفياً لها لا يتخلى عنها ، وأن ما سمعته عن زواجه أو وشك زواجه كذب وافتراء ، وأن كلام الناس كثير ، وهل هو مجنون حتى يتزوج هذه المصوفة المعروفة ؟ ولم تستطع أن تسمع أكثر من ذلك لأن الدم صعد الى رأسها فدار ، ثم نهضت واعتذرت الى أمها بأنها مريضة وأنها ستذهب الى البيت لترقد . همست بهذا في أذن أمها ... وتركها قبل أن تستطيع أن تقول شيئاً ، وخرجت كالمجنونة ، وظلت ماشية على غير هدى ، ولم تدرك أنها في حي غمرة إلا بعد أن خرجت من بيت صافية ... وكل ما تعرفه عن هذا السكران — أحمد — أنه لف ذارعه بذراعها — لا تدري ولا تذكر كيف — وأنها صمدت معه فما كان في رأسها عقل ... هذه هي القصة .. وقد انتهى كل ما بينها وبين خطيبها .. لم تقل شيئاً لأمها ولا لأبيها .. اكتفت بالاصرار على الرفض .. فتركاها وشأنها لما رأيا عنف الاصرار ، ولأنهما أدركا أن الأمر لا شك خطير .. وقالت له أخيراً إنها شاكرة له وحافضة لجيله ، لأنه رد إليها عقلها في تلك الليلة

ولما فرغت من قصتها أدهشها بقوله : « تزوجيني ! » فلم تستطع أن تقول أكثر من « أ .. أ .. أنت .. إيه ؟ ... »

فلم يجمل باله الى دهشتها ، ولو جملة لكان خليقاً أن يحس مما يفتر من حماسته ، بل أعاد الطالب : « تزوجيني »

فقالت : « إنك مدهش ! »

قال : « كلا .. إني أحبك ، وقد عانيت في الأيام التي افتقدتك فيها ما علمني أنني لا أستطيع أن أحيأ بدونك » فتزوجيني «

قالت : « وأنا ؟ ليس لي حساب عندك ؟ »

قال : « بالطبع .. ولهذا أقول تزوجيني »

فقالت : « أرجو ألا تسيء فهم ما أقول ... لو كنت أحبك لما وسعني أن أتزوجك الآن ... فقد يقال إني تركت خطيبي من أجل رجل آخر »

قال : « ماذا تميلين برجل يقول عنك ما قال ؟ »

قالت : « لست أباليه ، وإنما أبالي الناس ...

أهلي ومعارفي »

قال : « ماذا يملك منهم إذا كنت سعيدة

معي ؟ »

قالت : « اسمع ... قبل أن نخف حدة الألم

الذي أعانيه لا سبيل إلى التفكير في شيء »

قال : « مسكينة ! ولكن هل معنى ذلك أن

لي أملا »

قالت : « من يدري ؟ ثم إني لست أبي »

قال : « أبوك ... آه أبوك ! .. ولكن ماله ؟ »

قالت : « قد يكون له اعتراض »

قال : « اعتراض على سمادتك ؟ أم تريدني

أن أقول إنك لا تعرفيني ؟ .. معك الحق »

وعرفها بنفسه وأفضى إليها بكل ما يمكن أن

تحتاج إلى العلم به ، ولكنها مع ذلك رجت منه أن

يمضيها من حديث الزواج فسكت ، واكتفى بوعده

منها بأن تلقاه من حين إلى حين

وصارا يلتقيان كل بضعة أيام مرة ، ثم كل

يومين ، ثم كل يوم ، وأخيرا خطبها إلى أبيها وتزوجا

ومر عام وجاء الصيف ، فانتقل عبده و« عايدة »

— فقد آن أن تعرف اسمها كما عرفه زوجها —

إلى الإسكندرية ، واستأجرا هناك شقة مفروشة

في « الرمل » قريبا من البحر ، فدخلت عليها يوما

صديقة لها من عهد الحداثة اسمها « زكية » وكانت

شديدة العناية بشبابها وعطورها ، مسرفة في حبها

للسباحة والرقص ؛ وكان هواها هذا يشير لفظا كثيرا

حول اسمها ، ولكنها كانت لا تبالي ذلك اعتمادا

على مالها وجاء أمرتها ؛ وكانت تعتقد أنه يسمها

أن تفعل ما تشاء ، لا ما ينبغي ، فكان أترابها

يحسن استقبالها في بيوتهن ، ويتقن أن يخرجن

معهن ، مخافة أن يمتد اليهن القيل والقال ؛ ولم يكن

فيها سوء ، ولكن استخفافها بالتقاليد وافتراطها

في استعمال حريتها ، كانا عظيمين ؛ ولم تكن كل

فتاة يسمها ما يسمع زكية . وكان معروف عنها أنها تجري

مع أول الخاطر ، وأنها أصرح مما ينبغي ، فكان

لسانها يفسد عليها مزايا الصدق والصراحة وطيب

القلب ؛ ولم تكن تبالي أن تحشر نفسها فيما لا يعينها ،

ولم يكن هذا عن فضول بل عن إخلاص وغيره ،

ولكن دخولها في شؤون غيرها فلما كان يحلو للناس

وقالت لعائدة وهي تجلس على كرسي :

« ما أبهك اليوم يا عائدة ! .. يظهر أن الزواج زاد

حسنك نصارة »

وابتسمت وهي تخرج من حقيبتها الصغيرة

علبة مذهبة مرصعة فتحتها وأخذت منها سيجارة

مذهبة الفم أشملتها وراحت تدخن وتنفخ

وقالت عائدة : « وأنت ؟ إني أراك ترجسة ! ..

هذا الثوب وحده حلم جميل ... لم أرك منذ أيام !

فإذا كنت تصنعين بنفسك ؟ »

قالت زكية : « دعيني وقولي لي أين عبده ؟ »

قالت عائدة : « عبده ؟ .. إنه في مصر ... له

ثلاثة أيام هناك ... تعرفين العمل وضروراته »

فقالت زكية وهي تنفخ الدخان وقد شردت

إن في وسعك أن ترديه إليك إذا أحسنت السياسة ..  
الأمير يحتاج إلى كياسة وحسن تدبير ... ولم أقل  
لك ما قلت لأفسد عليك حياتك ، بل لأنهلك الى  
الخطر لتعالجيه بالحكمة »

فصاحت عابدة : « أتظنين اني أقبل ان أظل  
مع عبده بعد هذا ؟ . بعد ان خانتني ؟ . كلا ...  
ولو ظل يتوسل إلى على قدميه سنوات ! . يعطى  
خاتماً لموس ، وما مضت على زواجنا سنة واحدة ؟  
هه ؟ ... ويحذرها أن يتصل بي الخبر ؟ . » وتحدثت  
الدموع على خديها « إني أحب عبده ... حبه بلا  
قلبي ، وكان حبه يعمر صدري ... أتظنين بي أني  
أدنى وألجأ الى الحيل لاستميد حبه لي ؟ . أألوث  
نفسى لأنزعه من هذه المرأة ؟ . كلا ! الحب الذى  
يذهب لا يعود ! . والنار التى تتمد كيف يرجى أن  
تعود مضطربة ؟ . لقد مرق عبده قلبي ! . إقتاع  
أحشائى من جذورها . ولا أستطيع ان أغفر له  
هذه الحياة »

وعلمها البكاء ، ونسائات عبراتها ، واضطربت  
شفاتها ، وعجزت عن الكلام . ثم أحست يداً على  
كتفها ، وصافح سمعها صوت عبده :

« أما خائن يا عابدة ؟ . كيف اكتشفت خيانتى ؟ .  
مهلاً ... لقد سمعت كل كلمة »

فقلت زكية . « أما أخبرتها ... رأيتك تعطى  
تلك المرأة أمس خاتماً ، وشعرت أن من واجبي  
أن أنبه عابدة »

فقال عبده : « هل تسمحين بالخروج من هنا ؟ .  
ولا تكافئ نفسك عناء الرجوع مرة أخرى ! . »  
فغصبت زكية وصار وجهها كالجرة وقالت  
وهي تخرج : « هذه إهانة فظيمة »

فقال عبده : « إذهبي وسكني أعصابك بالرقص  
مع أول رجل تصادفينه »

نظرتها : « العمل ... إن العمل لا يمكن أن يقصى  
الرجل عن فتاة لها مثل جمالك وسجرك ... شيء  
واحد هو الذى بنأى به عنها ... امرأة أخرى ! »  
فبهتت عابدة وحمقت في وجه صاحبها بعينها  
الواسعتين ثم قالت : « هذه سخافة يا زكية ...  
لا ينبغي لك أن تظنى هذه الظنون بعبده ، ومن  
باب أولى لا يجوز مثل هذا الكلام عنه »  
فقلت زكية بالهجة المصرة : « ألا يجوز لي  
ذلك ؟ حسن . اسمي إذن . واذكرى أنه ليس لي  
غاية أبغيتها من وراء ما أقول ، وأنه ليس أحب إليّ  
من أن تكونى سعيدة موفقة ... ولكنه يبدو لي  
أن من واجبي أن أعرفك أن عبده على صلة بامرأة  
هى الخطيئة مجسدة »

فربت عابدة ، ووثبت الى قدميها وأحست  
أن رأسها يدور ، ويدور ، فاعتمدت على ظهر  
الكرسى وامتنع وجهها ونظرت الى زكية مبهوتة  
فقلت زكية : « صحيح يا عابدة ! . لقد  
رأيتهما معا البارحة في سان جيمز ... وسمعت  
حديثهما أيضاً ، فقد كنت قريبة منهما أراهما  
ولا يربأى ؛ وكان مما سمعته : « إن زوجتى لا يجوز  
أن تعرف شيئاً من هذا أبداً ، فليبق بينى وبينك  
فقط » ثم أخرج من جيبه خاتماً لا أدري ماذا يساوى  
ولكنه على كل حال لا يمكن أن يكون من قصدير .  
والآن قد عرفت الحقيقة ، فإذا تنوين أن تصنعى ؟ »  
وكانت عابدة تنظر الى الأرض ، أو الى قدميها ،  
فلم تجب ، فأعادت زكية السؤال ، فقلت عابدة :  
« أصنع ؟ تسألينى ماذا أنوى أن أصنع ؟ .  
ليس هناك سوى شيء واحد أستطيع أن أصنعه ...  
أغادر الاسكندرية حالاً ! . وإن آخذ معي شيئاً ...  
إنتهى كل شيء »  
فنهضت زكية وقالت : « لا تكونى سخيفة ...

وأخرج من جيبه ورقة ودفع بها الى عايدة

\*\*\*

وقال عبده ، وهو يسير مع عايدة على شاطئ البحر :

« إني سعيد .. سرني ما حدث »

فاستغربت وقالت : « سرى ؟ لست فاهمة »

فقال بابتسام : « لأنى لا سمعتك وأنا واقف

في مدخل الباب ورأيتك تتورين هذه الثورة أيقنت أن حبك لى لا يمكن أن تنال منه الأيام أو تفتقر الحوادث »

فقلت بخبث : « لا تسكن واثقا .. »

وذهبت تمدو أمامه ، وقد وسعها أن تضحك

وتمزح ، فجرى وراءها ، وخاض الماء اليها ،

وتناولها بين ذراعيه ، وضعها اليه ، وأهوى

بشفتيه على شفيتها . ابراهيم عبر القطار المائى

ثم دار وواجه عايدة فقالت وهى تنتحب :

« كيف تفعل هذا ؟ . كيف ؟ »

وحالت الدموع دون الكلام ، فقال عبده :

« اسمى يا عايدة ... ان المرأة التى كنت معها فى

سان جيمز هى « صوفى » أو صفية ... هل تذكرين

هذا الاسم ؟ . يظهر أنه كان لها مآرب فى ... وأنا

لا أدرى . ويظهر ان زواجى أحنقها ، وقد راحت

تلفظ وتحدث بأنى عرفتك فى بيتها ... لا تبالي ،

ان هذا طعن عليها هى قبل أن يكون طعنا عليك

أو على ... الحق دعى ويصم ... لهذا اضطررت

أن أتألفها وأقيدها ... إستكثمتها إقراراً بضطرها

الى قطع لسانها بعد اليوم ؛ وكان لا بد أن أداورها

وأحاررها فانقذتها من المآل ... قليلاً فى الحقيقة ..

وأعطيتها خاتماً ليس له قيمة كبيرة ، لأنى خفت

عواقب لفظها ... سممة المرأة كسممة البنك ... »

## علمكم المصرى

برفرف على

## النيل و كوثر

فهما رمز بلادكم

سافروا عليهما تجددوا راحتكم المنشودة

غرف فاخرة .. طعام شهى .. خدمة كاملة

اتصلوا بشركة مصر للسياحة شارع ابراهيم باشا رقم ٤٩



تترقق عبرات الفيض والشر ... وهو يستشعر في نفسه السمو على من حوله من رفاقه جميعاً حتى الطالب الجامعي مولر ، ثم هو يحتقره ويزدرجه لأمر في نفسه ، وهو دائماً يهيج غيظه ويثير غضبه بكلمات فيها السخرية والتهكم ؛ ولكنه الآن قد جالس في هدوء وصمت ، ونظراته تقتحم هذا الطالب القذر ... وفي الناحية الأخرى من النضد جالست اليصابات أخت كلوتيلدا الصغرى وهي في السابعة عشرة ، ثم ابنة عمها كلارا وهي في السادسة عشرة ، ثم فتاتان في سنهما هما هيلين وماري أختا أُنُو وهو في الخامسة عشرة ، وهم أبناء أحد الجيران وكلهم يلعبون الورق في هدوء وسكون تبدو عليهم اللذة والنبطة ... إلا الطالب مولر فقد جالس يقرأ شعراً

وراح أُنُو يتنأب في ملال ، وممرت العدوى الى كلارا ف راحت تنأب هي الأخرى ، والى جانبها اليصابات تفيض نشاطاً وحياة ، ويزعجها ما ترى في هذين من كسل فتثور بهما الفينة بعد الفينة ... وابتدأ الخول يتسرب الى النفوس ؛ غير أن المغارم ما تزال تدفع الى كلوتيلدا المرة بعد المرة ؛ والمطار ما يزال ينهمر والرياح تصفر صفيرها الزعج وأرادوا أن يردوا المغارم الى أهلها ، فأرغموا الذين خسروا على أن يعملوا عملاً : فهيلين تقف

أرخی الليل سدوله على الكون ، والمطر ما يزال يتهاطل رذاذاً يلاطم زجاج النافذة في رفق ولين ؛ وهم في حجرة من منزل ريفي حيث يقضون عطائهم ، وقد تناثروا حول نضد عليه مصباح ينبعث منه ضوء هاديء ضئيل ؛ وهم جماعة من الشبان والشابات بين الربيع الخامس عشر والعشرين من العمر ؛ وكلوتيلدا أكبر الفتيات سنًا لم تسليخ الثامنة عشرة ؛ فتاة في مستقبل العمر ونجى الحياة ، في ميمة الصبا واكتمال الأنوثة ، تضطرم في وجنتها حمرة الشباب والجمال ، هيفاء جذابة ، فيها الملاحاة والظارف ، وفي نظراتها السحر والفتنة ؛ وهي جالسة الى جانب طالب جامعي رثّ اللبس ، زرى الهيئة ، منتقع اللون ، تبدو على وجهه سمات الحياء والجن ، وفي نظراته الاضطراب والضمف ؛ ثم هو هاديء رزين ، يرى مجون من حوله فيبسم في هدوء ودعة ، ثم لا يخوض فيما هم فيه من لهو وعبت ... وقبلت كلوتيلدا يجلس أنيلو وهو شاب في السابعة عشرة كثر الشعر سبطه ، تنبعت من عينيه أشعة نقادة علامة ذكاء وفراة ، وفي وجهه يتدفق دم الشباب الحار علامة صحة وسلامة ، ويدها منقبضتان كأنما تحمزان ثميناً علامة قوة وفتوة ، ثم هو قد ورث عن أمه الألمانية الميل الى الصراخ في وجه من يمانده ، صراخ الغضب والحنق ؛ وفي عينيه

كلوتيلدا : « نحن بخير يا أماء ! » وقالت اليصابات :  
« لقد أفرغنا المطر والريح . وماذا تفعلين أنت  
وأبي ؟ أما ترالان تلعبان الورق ؟ » قالت المرأة :  
« نعم ، ما زلنا ... اتخذوا لكم سلوة ... » ثم  
أغلقت الباب في رفق . . . . . وساد الصمت  
مرة أخرى

وانطلقت كلوتيلدا وكلارا الى النافذة تنظران  
من خلال الزجاج ، فانطلق مولر على آثارها وأنيليو  
جالس الى النضد ينظر ... وأتو يضرب في أنحاء  
الحجرة يغني أغنية أنجليزية اهتزت لها اليصابات  
فراحت ترقص على نغماتها وابنتا الجار ترمقانهما في  
لذة وطرب

\*\*\*

وهي حين بفتة انتفض أنيليو وهو يقول :  
« ما هذا ؟ ماذا وراء ... ؟ أفيسيطر علينا الخوذة  
والكسل فنظل في هذه الحجرة الضيقة طول الليل ؟  
لا بد أن نعمل شيئا ... » قال مولر وهو يهيم في همهم :  
« وما تطلب الينا أن نعمل ؟ قال : « فلنعمل شيئا ..  
شيئا مثل ... فلنذهب الى الغابة » قال الآخر :  
« عجباً ، أفنذهب تحت هذا الماء الممهر ؟ » وراح  
أنيليو بقلده ويسخر منه « الماء الممهر ؟ » لقد  
كان يهض هذا الطالب من قلبه ، أما الآن وقد  
رأى كلوتيلدا تنظر اليه شزراً حين سخر منه فقد  
استحال هذا البهض الى كراهية ومقت يخزان  
قلبه في غير رحمة ولا شفقة

لقد رأى هو هذا الطالب منذ فترة يقف الى  
كلوتيلدا وقد ألصق جسمه بجسمها فأحس هو  
بالدفء والحياة ، وأحست هي .. ثم .. ثم ارتدت  
إليه ذكرى أيام عطلة عيد الامبراطورية حين كانت  
كلوتيلدا لا تراقص إلا هذا الشاب ولا يراقص

صامتة لا تتحرك ولا تتماثل ، وكلارا تحفظ  
قطعة من الشعر ، وأنثوا يقلد صوت الحيوان ،  
وكلوتيلدا تصطنع الحماقة فتهدم على رفاقها بألفاظ  
جافية نابية ، وأنيليو يمثل دور صملوك أرسطوقراطي  
تعيته رفيقته اليصابات

وراح أنيليو يتصملك على كلوتيلدا ، وحين  
وقف بأزائها نزت منه نزوات العاطفة الفياضة  
الجامحة ، وأحس كأن ناراً تستمر في قلبه ، فرفع  
يدها الى فيه يريد أن يقبلها ، وعيناه تحديقان في  
عينها ، ثم ذهل عن نفسه ... وأجهدت اليصابات  
نفسها في أن تجره بعيداً فأبى وقلبه يضطرب ...  
وسحبت كلوتيلدا يدها في رفق ، وفي نظراتها  
الشفقة والمطف ، وعلى فيها ابتسامة رقيقة ؛  
والجميع يرمقونه في دهشة وعجب ، إلا مولر فقد  
سيطر عليه الحقد والغبط

وانتهى أنيليو ناحية ، وثار به اليصابات :  
« حقاً لقد كنت وقعاً » وأصم الشاب أذنيه عن  
لوم الفتاة ، ونهتهم ماري الى أمر حين قالت :  
« والآن ماذا نفعل ، والمطر ما يزال يتدفق ؟ »  
وكانت العاصفة تزار وتصفع جدران الدار في شدة  
وعنف ، ثم اضطرب المصباح يوشك أن ينطفئ ؛  
وفزعوا جميعاً حين سمعوا الباب يصصر صريراً شديداً  
وأوراق الأشجار تعصف بها الرياح فتنبعث منها  
أصوات مزعجة ، والسماء ترعد وتبرق تنذر بأمر ؛  
وران عليهم حزن عميق نزع عنهم ما كانوا فيه  
من صرح ولهو ، فوجوا ...

وفتحت باب الحجرة المجاورة امرأة فيها  
الجمال والظرف ، وقد تشعث شعرها الأسود الناعم  
وعلى شفيتها ابتسامة عذبة ثم قالت : « ماذا بكم  
يا أولادي ؟ لماذا تجلسون في صمت ؟ » وأجابت

عن هذه الأصوات المنكرة ، هذا وقت سرور بانقطاع المطر ! » وقال الطالب وهو يبسم في سحرهم : « لقد انتهى هناك وابتدأ هنا . . . في الدار ! » وفي الحق لقد كانت القطرات تتساقط من خلال السقف في رفق أولاً ثم في شدة ؛ وفنحت اليبابات النافذة فاندفع الى داخل الحجرة هواء ندى بارد نفث فيهم جميعاً روح النشاط والقوة ، فقالت كلوتيلدا : « الآن نستطيع أن نخرج الى نزهة قصيرة . . . » ووافق هذا هوى في نفوس الجميع فانطلقوا يفتشون عن معاطفهم وبقعاتهم في صخب ولجب ، ثم راحوا يتشاورون فيما يفعلون . . .

وقال مولر : « نزهة في الغاية مشياً على الأقدام » فأجاب أنيليو في إحتقار : « مشياً على الأقدام ؟ كيف ؟ كأنك تريد أن ينطلق كل اثنين معاً ! كأنك تعنى . . . ! » ووقفت الكلمات على شفثيه فما استطاع النطق ، فأجابت كلوتيلدا حين اضطرب الشاب : « الأدب والحياء يا أنيليو ! » وخمد ما كان في أنيليو من حماسة وشجاعة حين رأى عيني الفتاة تقدحان شرراً يتطاير ، وهفت نفسه الى أن يعتذر ، غير أن كبرياءه ألجته فحمد في مكانه . واندفع الشاب وقد ارتد إليه هذوؤه : « لعل ما فيك من ذكاء وفراهة قد أوحيا إليك بشيء ، فما هو ؟ » وأحس أنيليو بالصفعة في وقت معاً فتخاذل ثم قال : « إلى النهر ، ونصحب معنا المصاييح اليابانية ندرأ بها الظلمة والضلال . أموافقون ؟ » وصاح أتو واليبابات معاً : « حسن ! » وتبادلت هيلين وكلارا النظرات . . . نظرات الفزع والريبة ، وبدا عليهما الجبن والخور ، غير أنهما ما استطاعتا أن تقولاً شيئاً ، وقالت كلوتيلدا للطالب مولر : « ماذا ترى ؟ » قال : « لا بأس ، فما في النهر ما يفزع وقد هدأت العاصفة ! » قالت هي : « أفتعتقد ؟ » وآلم أنيليو

هو غيرها . . . ثم هي لا تذكره هو إلا في النهاية وقد أوشك الحفل أن ينفض فتتطابق إليه تسأله : « لماذا لم تراقصني ؟ » فيجيب في جفاء : « لا أستطيع الرقص ! » وقلبه ينازعه إليها . فتهز هي كتفها ثم تنطلق الى صاحبها ، ليظل هو وحده يتعنى لو آوى إلى فراشه وقد أجهده التعب وأضناه السهر . غير أن ريح كلوتيلدا كان يرف عليه عطر أندياً بين الفينة والفينة فيبعث فيه النشاط والصبر

لقد ذكر أنيليو هذا وغير هذا مما كان ، فكلوتيلدا ومولر كانا يسيران دائماً جنباً الى جنب ، ويأتیان أمراً واحداً ، ويتبادلان الهدايا والنظرات والابتسامات كما شقيين يهفو قلب كل منهما نحو الآخر فما يستطيع عنه صبراً ، وارتدت الحوادث المؤلة في خاطره يشد بعضها بعضاً فطأطأ رأسه وذهب في غمرات من الأفكار السود ؛ واستطاع أن يرفع رأسه — بعد لآي — وأرسل من أعماقه زفرة كاد ينشق لها قلبه . . . ثم نظر الى النافذة في فتور وتكسر فما رأى أحداً ، فأدار بصره يبحث فاذا كلوتيلدا وصاحبها قد جلسا يقرآن شعراً في كتاب واحد والحجرة في سكون القبور . . .

\*\*\*

وقطعت اليبابات هذا الصمت العميق بقولها : « أنيليو ! لقد قلت شيئاً ثم أمسكت ! » وفزع هو حين رأى الفتاة تنزع من أخيلته وأراد أن ينحط عليها بكلمات قارسة لذاعة جزاءاً وفاقاً لما أنبته به منذ حين ، غير أنه هدأ من ثورته وقال : « أنا ؟ أنا لا أذكر ! » وصاحت ماري من جانب الحجرة : « لقد انقطع المطر ! » وصاحت هيلين من الجانب الآخر : « حقاً ، حقاً ! » وانطلق الجميع الى النافذة يتدافعون ويتصايحون وكادت تقع بينهم مشادة لولا أن كلوتيلدا زجرتهم : « أمسكوا

والنف حولها الباكون يشجعونها فصرخت أخرى وهي تبكي : « أنا لا أجسر » فطوقتها هيالين بيديها وهي تقول في رفق : « لا تخزني ، سأظل إلى جانبك » وصاح أنو : « نعم ، أيها الجبناء ! » ثم اندفع ليأخذ مكانه في القارب واندفعت اليعصابات على أثره ثم ماري ؛ وأمسك هو بالمجدافين وجذب القارب إلى اليم في قوة وهو يغنى ...

وفي القارب الثاني كلوتيلدا ومولر وأتيليو . ودفع أتيليو القارب بين الأمواج في تيار جارف ، ثم ... ثم هبت الريح شديدة عاصفة ، واضطرب النهر ، وبمدت الشقة بين القاربين ... وفزعت ماري واضطربت اليعصابات ، فأرسلنا مراكب صيحة عالية أفزعت أنو وزعزعت عزيمته ، واضطرب لها قلبه فارتد إلى الشاطئ وقد خشي مقبة الاندفاع وجرف التيار القارب الآخر ؛ وأتيليو ومولر مجدافان في صمت وإطراق ، وكلوتيلدا تضطرب وقد سلها الفزع من رزائنها ... ثم انطلق المصباح قران عليهم ظلام عميق ، وخيل إليهم أن صوراً خفيفة تنعكس على صفحة الماء ، وأن أصواتاً خشنة تنبعث من كل ناحية فتنتفث في القلوب الرعب والمهلع ... وأجهد الشبان أنفسهم عبثاً أن يبلغوا الشاطئ ، والأمواج تجذب القارب في شدة وعنف ، وبدأ لهم جميعاً في كل ما يرون معنى من معاني الحزن واليأس ، وترأت لهم الأصوات حولهم تشبههم إلى النهاية ..

واستولى السكلال على الطالب فأطلق المجداف من يديه وهو ينظر إلى كلوتيلدا فابتسمت ابتسامة مرة وقد سيطر عليها الأمل واليأس ، وانتفض أتيليو يقبض على المجداف الذي أطلقه مولر وهو يصارع الأمواج في عزم وقوة ، ثم أرسل صيحة دوى لها المكان : صيحة فيها السرور والبشرى لأنه

ما رأى فقال : « لا خير ، فأنا ذاهب ومن أراد فليتبمعي » ثم انطلق وفي نفسه الثقة والعزم ؛ وانطلق الجماعة على أثره

وساروا في طريق غير معبد وسط حديقة مهملة ، قد تشعثت فيها الأغصان وأوراق الأشجار ونبتت فيها الحشائش هنا وهناك ؛ والرياح تعصف فتهمز الأغصان فتتساقط عليهم قطرات كبيرة من الماء تبلل ملابسهم ووجوههم ؛ وأقدهم تنوص في أرض رطبة لينة ؛ وحين بلغوا النهر صاحت اليعصابات : « المصاييح ، المصاييح ! » وانبرى أنو في شجاعة .. ثم انطلق إلى الدار ليحضر المصاييح والثقاب

\*\*\*

وكان الماء يندفع بلاطم بعضه بعضاً فينبعث منه خرير كهدير الرعد ، والأمواج تضطرب وترجرج ، والتيار يحمل بعض الأغصان وأوراق الشجر وقطعاً من الخشب ، وفي فجوة على الشاطئ قاربان أترع أحدهما بالماء .. واندفع أتيليو ينشل الماء من واحد ، ومولر إلى جبل القارب الآخر بفك عقدة ، والفتيات ينظرن في صمت ، وكلوتيلدا تنظر إلى السحب المتكاثفة في السماء

وأفلح الطالب في حل رباط القارب ، وحين انطلق إلى الثاني كان أنو قد عاد وصدره يعلو ويهبط من أثر الاجتهاد والمصباحان تحت مظلة . وراحت ماري تهزأ بالطفل حين رآته قد أساء اختيار المصاييح فتصايح الصبية ، ودوى الصوت في أذني الطالب يزعمه وقد أعجزه أن يفك العقدة فصاح في غمظ : « الصمت ، الصمت ! » وكان أتيليو قد انتهى من عمله ، فاندفع إلى الطالب ينزع منه الحبل ، وفي لحظة البصر كان قد حل العقدة ، ثم أضاء المصباحين في مهارة وإتقان ، ثم قال في هدوء وكبرياء : « فلنبدا ! » واضطربت كلارا ثم صرخت : « أنا لا أجسر »

استطاع أن يجذب القارب رويداً رويداً إلى الشاطئ.  
وقفز مولد إلى الشاطئ وأمسك بالقارب يريد  
أن يجذبه إليه ، غير أن موجة قوية غلبته على أمره  
فانفلت القارب ، وأفرعه ما رأى فصرخ صرخة  
شديدة ... وراحت الأمواج تتقاذف القارب وقد  
ذهل الاثنان عما هما فيه لما استشعرا الصدمة ؛ وما  
أحسا أن القارب قد انخرق برغم أن حذاء كلوتيلدا  
كان قد اغتمر في الماء ، فسكانت ترتعد من شدة  
البرد ومن شدة الخوف معاً

وأحس أنيليو بالأعباء والجهد فألقى المجدافين  
جانباً وقد استرخت ذراعه إثر صراع عنيف دام  
طويلاً ؛ ثم قال في أسى : « لقد تهدمت ، ستكون  
النهاية ؟ » فأجابت كلوتيلدا بصوت فيه نبضات  
قلها المضطرب : « استمر ، استمر » وحاول هو أن  
يستمر ، غير أن قوته كانت قد تمحطت فخر على ركبتيه  
ومال رأسه فلمس رداء الفتاة واستقر في حجرها ،  
فصاحت : « ماذا ، ماذا تصنع ؟ .. » ولكنه كان  
قد خرج عن وعيه فطوقها بذراعيه في رفق وشغف ،  
ودفعته هي عنها في صمت ولين ، فاستلقى في قاع  
القارب ، ثم قام وقد آلمته الصدمة ، واندفع إليها  
ثانية .. لقد رنت في أذنيه صيحة خافتة ثم لم يشعر  
بسوى شفتيها الجميلتين تلمسان شفتيه ؛ وإلا جسمها  
الفض الرطيب اللدن ينفج عبيره حواليه ، ثم بالصق  
بجسمه ؛ وإلا شعرها ، وقد عبثت به الرياح ، يداعب  
وجهه فينفث في قلبه الشاب معاني ومعاني ...

ونازعته نفسه إلى أن يجثم عند قدميها يتوسل  
ويتوسل ، غير أن شيئاً في نفسه رده لما استطاع  
أن يفعل ، ثم قال في همس واضطراب : « كلوتيلدا !  
ماذا جنيت ؟ لم أفعل سوءاً ! أنا لا أذكر . حقاً ،  
أنا لا أذكر ... » وخفت صوت الفتى قليلاً قليلاً ،  
ولكنه ما يزال يستعطفها : « لماذا ؟ لماذا تقسين  
علي ؟ لماذا ؟ لقد علفتك وأغرمت بك ! » وكانت  
هي قد بمدت عنه فما سمعت كلماته الأخيرة ،  
وانطلق هو على أثرها . فقالت له في جفاء : « دعني ،  
دعني وحيدة ! » واستطاع هو أن يرسل من بين  
أنسائه الخافتة : « لا ، لا يا كلوتيلدا ! لم أجن ولم  
أجترى ! إن قلبي ... » ثم راح يلين ما قسا من  
قلها ، ومن حولها الطبيعة القاسية عابسة مهتاجة  
تبعث في قلب الفتى الأسى والحسرة ، وهي ...  
هي كلوتيلدا تنفث فيه اليأس والألم ...

استطاع أن يجذب القارب رويداً رويداً إلى الشاطئ.  
وقفز مولد إلى الشاطئ وأمسك بالقارب يريد  
أن يجذبه إليه ، غير أن موجة قوية غلبته على أمره  
فانفلت القارب ، وأفرعه ما رأى فصرخ صرخة  
شديدة ... وراحت الأمواج تتقاذف القارب وقد  
ذهل الاثنان عما هما فيه لما استشعرا الصدمة ؛ وما  
أحسا أن القارب قد انخرق برغم أن حذاء كلوتيلدا  
كان قد اغتمر في الماء ، فسكانت ترتعد من شدة  
البرد ومن شدة الخوف معاً

وأحس أنيليو بالأعباء والجهد فألقى المجدافين  
جانباً وقد استرخت ذراعه إثر صراع عنيف دام  
طويلاً ؛ ثم قال في أسى : « لقد تهدمت ، ستكون  
النهاية ؟ » فأجابت كلوتيلدا بصوت فيه نبضات  
قلها المضطرب : « استمر ، استمر » وحاول هو أن  
يستمر ، غير أن قوته كانت قد تمحطت فخر على ركبتيه  
ومال رأسه فلمس رداء الفتاة واستقر في حجرها ،  
فصاحت : « ماذا ، ماذا تصنع ؟ .. » ولكنه كان  
قد خرج عن وعيه فطوقها بذراعيه في رفق وشغف ،  
ودفعته هي عنها في صمت ولين ، فاستلقى في قاع  
القارب ، ثم قام وقد آلمته الصدمة ، واندفع إليها  
ثانية .. لقد رنت في أذنيه صيحة خافتة ثم لم يشعر  
بسوى شفتيها الجميلتين تلمسان شفتيه ؛ وإلا جسمها  
الفض الرطيب اللدن ينفج عبيره حواليه ، ثم بالصق  
بجسمه ؛ وإلا شعرها ، وقد عبثت به الرياح ، يداعب  
وجهه فينفث في قلبه الشاب معاني ومعاني ...

ووقف القارب خجاة ، فالتفت هو مذعوراً ،  
فبداه أنهما على خطوات من الشاطئ ، وفي قوة  
الشباب وعزيمات الرجولة جذب القارب فاذا هما ...  
فاذا هما في أمان ... ثم هبطا إلى الأرض وقد ابتدأ  
الظلام ينحسر عن جبين الفجر وهما يستشعران برد  
الليل في مفاصلهما

وبدا لهما شبح يضرب في الأرض يبحث عن شيء ، وارتفع من ناحيته صوت ينادى : « من هناك ؟ أنيليو ... كلوتيلدا ... » إنه هو ... هو الطالب مولر . ونادت كلوتيلدا : « هيا ! إنه أنا » ثم اندفعت مولية ...

لقد رأى أنيليو الطالب يسرع نحو كلوتيلدا ، وراها هي تسرع نحوه ، ثم وقفا جنباً إلى جنب ، وخيل إلى أنيليو أنهما يتعانقان فتجهم وتعبس ؛ وهبت نسمة من سمات الفجر تحمل إليه حفيف الأوراق كأنه قبلة ! فارتعد وانتفض قلبه ، ثم جمد في مكانه ، وقد استولى عليه دوار شديد فأغلق عينيه حيناً ... وحين أدار بصره رأى الصديقين يلفهما الظلام ، وهو ما زال يسمع صوتاً يناديه : « أنيليو ، أنيليو ! أسرع فنحن في انتظارك ! » وانطرح على الحشائش الندية ، والأزهار من حوله تنفج عبيرها الشذى تريد أن تبعث فيه الهدوء والنشاط ؛ غير أنه كان قد انطوى على آلام مبرحة يتفطر لها قلبه ، وتنداعى لها رجواته ؛ وأظلمت الدنيا في ناظريه ؛ فراح يتقلب في قلق ومضض ؛ وتدفق اليأس في قلبه لينزع عنه نور الحياة وجمالها ؛ واستولى عليه شعور غريب ... شعور الفرار من على الأرض ، من هذا العذاب ... وبدأ له الحياة ، بعد التي أحب ، عبثاً لا خير فيها

واضطرب شبح الموت في خياله ، وتراءى له أنه يشق إليه الظلام في مثل عصفه الريح وهدة الموج ؛ وكلوتيلدا ماثلة في خواطره ؛ فهو يراها ومن عينيها السوداوين تنبعث أشعة آمرة تجذبه اليها في غير هواة ولا لين ، وهو يرى وجهها الوضاء الجميل ، وعلى شفيتها ابتسامة رقيقة عذبة ؛ وهو يرى قدها النحيل الضامر يتهدى في دلال

ورقة ... وهو يرى ... وهو يرى ... وثبتت الفتاة في خياله ما تبرح ولا تتحول ؛ فأحس بدمه يغور في عروقه ، فهب يريد النهر ...

واستقبله النهر وفي خريف أمواجه العويل والبكاء ، وجلس هو على شفا جرف يردد بصره في هذا الخضم ، كأنما ينظر إلى نهايته ؛ وفي أذنيه ترن هذه النغمات الحزينة تنير في نفسه الشجن والحزن ، ثم راح يحدث نفسه : « لو أنني ألقيت بنفسي لانهت متاعبي ... » لقد عصفت به أحزانه فملا بته عقله ، فراح ينشق سمات النهر في لذة ومتمعة ، ويرى في اضطراب الأمواج وزجرجرتها رنات فيها السحر والفتنة ... هنا ... هنا ينتهي شبابه ويطوى كتاب حياته ... ثم اضطرب وسرت في مفاصله حُميا الخوف ، فقال يهدى نفسه : « ما هذا ؟ إن المرء لا يموت إلا مرة ! » غير أن الجبن والخور وحب الحياة والحسرة على شبابه كانت جميعاً قد استيقظت في قلبه فارتد عن النهر فرزعاً لقد ذهل عن نفسه فما استطاع أن يسمع وقع أقدام المارة ولا أصواتهم وهم يقتربون منه ، وقد ابتسم الفجر ... وأصر على أن يرجع إلى الدار لينام ، فيستجم ، فينسى ... ثم انطلق وهو يقول : « وبلى ! أفكل هذا في سبيل الفتاة ... ؟ »

وعلى حين بغتة أحس بيدين تلمسانه في رفق ، ووجه بلاتنه المبرات يلصق بوجهه في عطف وحنان ، وهي تضمه إليه في شوق وشغف ، وأضاءت الحياة في عينيه مرة أخرى ، وشاع السرور في قلبه ، وسيطرت عليه نشوة اللذة والسعادة ، ثم فتح عينيه يستشف ما وراءه ، ففرع فارتد ... ثم اندفع ثانية ليلقى بنفسه بين أحضان أمه



إذ أن الرجل له مصالح وأطماع ، وطبيعته تدفعه إلى ولوج ميدان الحياة ، والكفاح في معمماتها الصاحب ، والحب عنده ألهية في مستقبل حياته ، أو أنشودة ينشدّها في أوقات فراغه ، وذلك لأنه في شغل عنه بما يطمح اليه من شهرة ، وما يسمى وراعه من ثروة ، وما يروم تحقيقه من فكرة ، فهو لا يفتأ مشوقاً إلى بلوغ ما يصبو اليه من سؤدد بين أنداده من الرجال ؛ أما المرأة فكل حياتها نهب للمواطن ، وما سيرتها إلا تاريخ لنوازع القلب ؛ فالقلب دنياها التي تطمع فيها إلى فرض سلطانها وإقرار مكانها ، وفيه تنقب عما تمنّاه من مخبوء الكنوز ، فتطلق كل جارحة فيها للمغامرة ، وتنطلق بكل روحها مع سفينة المواطن ، فإن غرقت سفينتها فقد خاب الرجاء فيها ، إذ معنى ذلك افلاس قلبها ودوال دولتها

قد تسبب خيبة الحب للرجل آلاماً ممضّة ، وقد تجرح بعض مارق من أوتار قلبه ، وتصف يعض معالم هوائه ، إلا أنه مخلوق عامل يستطيع أن يبسّد أفكاره ويصرفها بالاندماج في دائرة الأعمال النوعة ، كما أن في وسعه أن ينفّس في الملامح والسرّات ، أو يبسّد مقر سكناه إذا رأى أن المسرح الذي مثلت عليه فصول مأساته يحاط

اعتاد الذين تقدّمت بهم السنون ونحّطت بهم حدود الشباب فلم يعودوا يتأثرون بما يتأثر به الشبان من عواطف ، والذين درجوا على الخلاعة وشبوا في جوها الزاهي حيث لا مقام لشعور أو قرار لعاطفة ، أن يهزأوا بأخبار الحب جملة ظانين أنها لا تعدو أن تكون صوراً وأفانيس من نسج خيال القصصيين والشعراء ؛ إلا أن خبرتي بدخيلة النفس الانسانية تخمّلني على ألا أرى رأيهم ؛ فقد هدّنتي التجارب إلى أن المرء قد يبدو فاتراً بارداً لشواغل الدنيا وهمومها ، وقد يطالع الناس هاشكاً باشكاً مراعاة لمرامم المجتمع وآدابه ، إلا أن وراء هذا الظاهر الهادئ نيراناً كامنة ترقد في أعماق أبرد الصدور ، وهي نيران إذا أثارها مثير احتدمت احتداماً لا يعرف مداها ، وقد تسوء عقباها . الحق أني مؤمن قوى الإيمان بذلك السلطان الأعشى ذاهب مع تعاليمه إلى أقصى حدودها . إني مؤمن بالقلوب المحطمة إيماناً بأن خيبة الحب في رجائه قد تمجّل بفنائه ، ولكني لا أرى الحب مرضاً كثير الفتك ببني جنسي ، في حين أني مؤمن الإيمان كله بأنه المرض الذي يصيب كثيراً من النساء اللطيفات فيزعجن ويذهب بهن ومازلن في مستقبل العمر وثرخ الشباب

بملايسات لا قبل له بتحمل ما تسببه له من غصص وآلام ، فيرحل الى حيث يشاء متخذاً أجنحة الصباح طائراً الى اقاصى البلاد حيث يتخذ الى الراحة والسكينة

أما حياة المرأة فهي بالنسبة الى حياة الرجل حياة استقرار وعزلة وتأمل ، وهي أكثر اصطحاباً لأفكارها وعواطفها ؛ فإذا ما استجالت هذه الى رسل ودواعي الألم والحزن فالى أين النجاء ، وأين تلقى العزاء ؟ إن حظها من الحياة أن تحب وأن تنال ، فإذا ما ساء حظها وخاب فألها في حبها فثقل قلبها في ذلك مثل القلمة تقع في أيدي الأعداء فتُسهب وتُسلب وتترك خواء

كم من عين متألقة خبا ضياؤها ، كم من خد أسيل غدا شاحبا ، كم من وجه جميل ذوى وطواء الردى دون أن يدري اسرؤ السبب الذى أودى بتلك النضارة ! فمن طبيعة المرأة أن تخفى عن العالم آلام عواطفها المجروحة كما تظم الحمامة جناحيها الى جانبها تخفى بهما السهم الذى يوغل في مقاتلها . وحب المرأة الحساسة هادىء خجول ؛ ومهما أصابت في حبها من توفيق فقلما تهمس به لذات نفسها ؛ أما إذا خاب رجاؤها في الحب أودعته طيات صدرها وتركته هناك في هم واصب بين طول أمسها والذاهب ، فقد أخفت آمال قلبها وانتهت بهجة الحياة الكبرى عندها ، فهي عندئذ تعاف الألما ببهجة التى تنمى الفؤاد وتسرع النبضات وتدفع تيارات الحياة والصحة في المروق ، وهي في حالها تلك تقلقها الأحلام السود وتفرزعها في نومها ، ويمتص الأسمى دماءها حتى ليمسى جسمها من الوهن والهزال ينقض ويهدم تحت أضعف مؤثر خارجي . فإذا ما سألت عنها

بمد قليل وجدت الأصدقاء سيكون على قبرها وقد عاجلتها المنية في وفرة صباها ، فتمجب ما شاء لك المعجب كيف هبطت الى عالم الظلام والديدان تلك التى كانت تشع الى عهد قريب ضياء الصحة والجمال ؛ فيقال لك أصابها برد أو مرض شائع فتوفاه ، وما يدري أحد منهم ذلك الرض الفكرى الذى سبق فاستنزف قواها وتركها فريسة لأذى المؤثرات

مثالها مثل الدوحة الفينانة تزهى الغابة بها وتزدان ، تفق رشيقه القد مياسة الأغصان وريفة الأفنان بينا ينهش الدود لبها فيسرع اليها الذبول حين يرمى إشراق نضرتها وازدياد توريقها ؛ وعلى غرة نراها وقد مالت بأغصانها الى الأرض وأخذت تتساقط أوراقها ورقة ورقة الى أن تضمحل وتموت فتهموى في سكون الغاب . فإذا ماتا مانا هذه الانقراض الجميلة أخفقنا في تحليل ميتهما محاولين عبثاً أن نذكر تلك الماصفة التى عساها أن تكون قد أطاحتها ، أو تلك الصاعقة التى لعانها تكون قد صمقتها

أقصد لاحظت بعض النساء وهن منحدرات بخطى سريعة نحو الذبول وقد أهملن شأنهن فاخترن من الوجود على مهل كأنهن تبخرن في الهواء . واقد ظننت مراراً أنى أصبت الحقيقة حين عزوت وفاتهن الى آلام السل المهلكة تارة ، والى البرد تارة ، والى الهزال مرة والى الأحزان مرة ، ولكنى وجدت في النهاية السبب الحق وهو يأس الحب وضيعة الأمل

كل يذكرو ولا ريب قصة ذلك البطل الارلندى الشاب « . . » . فهي قصة كان وقعها أليما بحيث

يا لهول من قبر ! كم هو خيف ! كم هو مهين !  
وقد خات الذاكرة مما عساه أن يخفف غصة الفراق .  
ولم تستطع تلك الملابس الوديمة وإن خالطها الغم ،  
أن تذيب ذلك الحزن في تلك الدموع المباركة التي  
تنزل كاطل من السماء برداً وسلاماً على القلب في  
ساعة الفراق الممضة

ترملت ، وزاد في وحشة حياتها أن تلك الصلة  
قد أثارت غضب والدها وسخطه فنفاها من بيته .  
ولو أن صديقاتها روعت نفوسهن ومنعهن الخوف  
أن يهينها عطفهن ، لما أعوزها العزاء ؛ فالارلنديون  
قوم حساسو النفوس ككريمو الشعور . ولقد  
مدت إليها بيوتات كريمة يد المونة وأحطتها برقيق  
الرعاية وقدمنها للمجتمعات ، وحاولن الترفيه عنها  
بشتى الملامى والسررات ليزول عنها حزنها ولتبعد  
عن فكرها ذكرى مأساتها ، إلا أن ذلك كان عبثاً  
في عبث ، فإن من النكبات ما يتلف النفس ويذويها  
وينفذ إلى منبت السمادة فيسحقه سحقاً فلا يعود  
إلى إنبات . أما هي فلم تأب التردد على منتديات  
السرور ، ولكنها كانت فيها منفردة بنفسها  
موكولة الى أسائها ، فكانت تسير في وجوم  
يقرب فيه الشمور بالدنيا التي تموج حولها .  
وكانت تحمل في نفسها على الدوام هما دفيناً يسخر  
بمداعبات الصديقات ، ولا يحفل بسحر الغناء  
ولا بجمال ارقص

لقد رآها من روى لي قصتها في « كرنفال »  
وقد أخبرني أنه لم ير منظرآ للبؤس أكثر إبلاماً  
للنفس من رؤيتها في هذا الحفل الحافل تمشي كالخيال  
الضارع وحيدة كشيبة بينما كل ما حولها زاه بهيج

لا يمكن أن تنسى سريعاً ؛ فقد حوكم إبان الاضطرابات  
الارلندية متهماً بالخيانة ونفذ فيه حكم الاعدام بالشنق ،  
وكان لخاتمة حياته الفاجعة صدى عميق في قلوب  
الجمهور ، إذ كان شاباً في سبعة الصبي وزهرة الشباب ،  
متوقد الذهن ، كريم النفس ، شجاع القلب ، كل فيه  
كل ما يحب في الفتى من كريم السجايا وحيد الصفات ،  
كما كان سلوكه أثناء المحاكمة سامياً تجلت فيه بسالته  
وإقدامه ؛ وكان لغضبته النبيلة في دفع تهمة الخيانة عن  
نفسه ، ولدفاعه الرائع عن اسمه ، واندائه الحار للأجيال  
المقبلة وهو في موقف الاتهام وساعة اليأس صدى  
داو في أعماق كل صدر كريم ، حتى ان أعداءه أنفسهم  
نددوا بتلك السياسة النكراء التي قضت عليه بالقتل  
ولسكن قلباً واحداً بين هذى القلوب فاقت  
حسرة ولوعته كل وصف ، ذلك هو قلب تلك الفتاة  
الجيالة ابنة أحد مشاهير المحامين الارلنديين التي  
كان قد نال حبها أيام سمده وتوفيته ، وكانت هي  
قد أحبت لأول ما أحبت بتلك الحاسة التي تحب  
بها المرأة حبها الأول في مستقبل أيامها . لقد كانت  
تحبه أيام محنته ، أيام تألبت عليه أقاويل الناس  
وأحكامهم ، أيام عصفت العواصف بماله ، وتهدد  
العار والدمار اسمه ، وأحاط به السوء من كل جانب .  
ولقد كان يزيد حبها له معاناته لتلك الآلام ، فكيف بها  
اليوم وكيف ألمها وهي التي كانت تهيم بطيفه وتشغف  
بجمال . وقد حرك المصاب نفوس عدائه . سل عن  
ذلك من سدت أبواب القبر بفتة في وجهه ، وفرقت  
بينه وبين من لم يعدل به وبجبه أحداً ، وقد جثا على  
حافة القبر كالطروود في دنيا باردة موحشة ذهب عنها  
كل ما هو محبوب وكل ما هو جميل

وقال لي إنه رآها تلبس حلل المرح في حين تسير  
ساهرة الوجه ممتعة اللون بغمرها الأسى كأنما تحاول  
عبثاً أن تخدع قلبها لحظة تنسيه فيها حزنه المقيم .  
وبعد أن طافت بالحجرات الفاخرة وجالت بين ذلك  
الحشد الصاخب شاردة اللب جلست على درج  
منصة الموسيقى ؛ وبعد أن نظرت في الفضاء برهة وهي  
شاخصة الطرف يبدو عليها عدم الشعور بحال المناظر  
من حولها ، أخذت تغنى ، شأن القلب الليل في  
تقلب أطواره ، فكان شدوها باكية . لقد كان صوتها  
رخياً إلا أنه في هذه المرة كان مؤثراً بسيطاً ، فتنفست  
عن نفس بائسة ، والتفت حولها الجميع وساد السكون ،  
فاذابت النفوس وأدمعت العيون

لقد أمارت قصتها شغف الناس ؛ إذ أن قصة  
سيدة على ذلك الاخلاص وهذا التفانى لا بد أن  
تثير إعجاب الناس في بلد عرف أهلوه بالحماسة  
والوفاء ، فأحبها وأعزم بها ضابط باسل خطبها وهو  
يحدث نفسه بأن من كانت تخلص هذا الاخلاص  
للميت ، تظهر ولا شك مثل هذا الاخلاص  
للحي ؛ إلا أنها خيبت أمله في ذلك إذ لم يكن  
في وسعها أن تصرف فكريها عن ذكرى حبيبها  
الأول . على أنه أصر على طابعه قائلاً : إنه يكفيه منها  
التقدير بدلاً عن الحب . وساعده عليها اقتناعها  
بجدارة وعوزها واعتمادها على الغير ، اذ كانت  
تميش على فيض ما تجود به الصديقات ، فنجح في  
النهاية في الحصول على يدها مع تأكيد رهيب بأن  
قلبها ما زال ملكاً لغيره ولا سبيل إلى صده عن هواه  
سافر بها إلى سيسلي لعل تبديل المناظر يحو  
ذكرياتها القديمة . واقد كانت رقيقة القلب مثال

الزوجة الصالحة ، فحاولت أن تسمد بزواجها ، إلا  
أن هذا الهم الساكن وذلك الحزن الساکن لم يجمع  
فيهما علاج

فذهبت رويداً رويداً ، وأخذ منها الهزال  
مأخذها ، فسارت وشيكا إلى انحلال لا أمل في البرء  
منه ، وهوت أخيراً إلى قبرها ضحية القلب المحطم  
وقد نظم فيها مور الشاعر الأيرلندي الشهير  
أبياته الآتية :

بعيدة عن الأرض التي بها منوى بطلها المحبوب ،  
يلتف حولها المحبون وهم يصعدون الزفرات ،  
إلا أنها تشيخ عنهم بوجهها وتأخذ في التحجب  
فقد علق قلبها بالثرى الذي ضم الحبيب ،

\*\*\*

تنشد أغاني الفطرة عن مواطنهم السذج الأعزاء  
مؤثرة ما كان يحبه من بين تلك الأنعام .  
آه ! ليس يدري أولئك المعجبون بألحانها  
كم يتمزق قلبها وهي تشدو بأنفسها !

\*\*\*

عاش لحبه ومات في سبيل بلاده ،  
وكان هذان كل ما يعنيه من دنياه ؛  
وسوف لا تحف عاجلاً دموع بلاده عليه  
ولا أمل لمن أحبه أن يعيش طويلاً من بعده

\*\*\*

ابنوا قبرها حيث تستقر أشعة الشمس ،  
حين تؤذن بغيابها بدنو غدر موموق ،  
حتى تضيء عليها في نجمتها كبسمة من المغرب  
من جزيرة الأحزان التي أحببتها وعلقت بها  
( حدائق القبة ) حسين محمد طاهر

يتساءلوا ما إذا كان صديقتهم قد خرج بفضلهم من  
مأزق ليقع في مأزق أشد حرجاً وضيقاً  
تلك هي واجبات الصداقة في نظر هذا النوع  
من الأصدقاء.

من مصائب الشبيبة أنها تنوهم الحياة قاعة على  
مثال الحوادث الأولى التي طرأت عليها . وهناك  
نوع من أشقياء المجتمع تراهم على أهبة ليقولوا للفتى  
المصدوع : إنك على حق في اعتقادك بالشر ، ونحن  
نعلم حقيقةته

ولقد سمعت رجلاً وخط الشيب شمورهم  
يتكلمون عن نوع من علاقات الرجل بالمرأة  
بصفونه ( بالماطفة الجواللة ) فكانوا يتحدثون عن  
هذه العاطفة كأنها آلة حديثة اخترعها مهندس ،  
فيصورون كيفية استعمالها ويذكرون ما يجب أن  
يقول العاشق ، وما عليه أن يجيب به مقررین قواعد  
رسائل الغرام وكيفية الركوع لاستمطاف المرأة  
المشتهاة . وهكذا كان هؤلاء الأفاضل ينظمون  
حركات الهجوم والدفاع

وما كانت هذه الأصول الموضوعية إلا لتجماي  
أفقه ضحكا ، لأنني ما تمكنت يوماً أن أقول  
لامرأة أحترقها إنني أحبها حتى ولو كان هذا  
المتعارف المعمول به مما تعرف المرأة نفسها زيفه .  
ما جثوت يوماً أمام امرأة دون أن يجثو قلبي ممي .  
لذلك ما عرفت حياتي هذا النوع من النساء  
المتذلات ؛ وإذا ما كنت وقعت لاحداهن ، فما  
كان ذلك إلا دون قصد مني وعن جهل بحال المرأة  
التي أغوتني

ليس من المستغرب لدى أن يهمل الانسان  
نفسه ، ولكن ما أستغرب هو أن يقدم على تدنيسها .



مِنْ أَعْمَاقِ النَفُوسِ

اعترفان فتى العَصْرِ

لألفريد ريس

بقلم الأستاذ فليكنس فارس

## الفصل الثالث

وكان ديجنه قد أعد في بيته في الضاحية حفلة  
للشباب مستكملة من خمر وطعام ولعب وصيدورقص  
وسباق ؛ وكان غنى هذا الصديق مجتملاً بحب الضيافة  
والكرم ؛ وله مكتبة مجهزة بأغن السكتب ، وكان  
إذا حدثك ثم حديثه عن علم واسع وأدب جم  
وحملت إلى هذه الحفلة كما بقي أغلبها فلا تناب ؛  
وقد احترم ديجنه حزني إذ سكنت أنا عن استفساره  
فلم يعاود الكرة على

وما كان يهتم ديجنه إلا لأمر واحد ، وهو أن  
يراني ناسياً خليلتي ، فكان يرصيه أن أتناول الطعام  
كسواي ، وأرافق الأصحاب في ألعابهم وصيدهم  
إن في العالم أناساً مثل هذا الصديق يحاولون  
جهدهم أن يخدموا من يودون فلا يترددون في أن  
يرشقوا وجهه بحجر إذا رأوا ذبابة تلسع خده ...  
فهم لا يفترون بمنعونه عن ارتكاب ما يعدونه خطأ ،  
ولا بطيب لهم عيش دون أن يتوصلوا إلى طبع هذا  
الصديق على غرارهم ، فإذا هم ظفروا بغابتهم فركوا  
أيديهم ونفضوا أناملهم دون أن يخطر لهم ببال أن

ولقد يكون في هذا القول شيء من الكبرياء ،  
ولكنني أربأ بذاتي أن أرفعها فوق موقعها ، أو أن  
أحط بها إلى أدنى من مستواها . وليس أكره إلى  
من المرأة التي تهزأ بالحب . ولمثل هذه المرأة أن  
يبادلني عاطفتي هذه فأنني لن أنأزعهما هذا الحق  
إن مثيلات هذه المرأة لأحط من الماهرات ؛  
وقد تكذب الماهرة كما تكذب المرأة المحترقة  
للحب ؛ ولكن الأولى قد تحب ، أما الثانية فلا تفقه  
للحب معنى

أذكر امرأة تملقت بي فكانت تقول للرجل  
الغني الذي تعاشيه : لقد مللتك ؛ وهأنذا ذاهبة  
إلى حبيبي

إن مثل هذه المرأة لخير من النساء اللواتي  
لا يتقاضين عن أعراضهن ثمناً

وقضيت فصل الصيف عند ديجنه حيث بلغتني  
أن خيلاتي بارحت فرنسا . ومنذ اليوم الذي بلغتني  
فيه هذا الخبر استولى عليّ خمول لم أجده لنفسه  
عنى سبيلا

وكنيت في وسط هذا المجتمع الجديد أنطلع  
كالفرس الجوح إلى كل ما حولي

وكان لديجنه خلية على غاية من الجمال . وكنيت  
أنعشي معه في إحدى الليالي فقلت له إنني أقدر  
جمال عشيقته وتعلقها به وإخلاصها له ، وأشعرته  
أنني أغبطه على هذه النعمة . فسكت على عادته وابتسم .

وعند ما دخلت إلى غرفتي لأرقد في المساء نفسه  
سمعت طرقة على بابي فأذنت بالدخول ظناً مني أن  
أحد الصحاب أخذ الأرق فلجأ إليّ ، وفتح الباب  
فرايت امرأة تتقدم مترددة وقد امتقع لونها وتعمى  
نصف جسمها ويدها طاقة أزهار قدمتها إليّ ، وبين

الأزهار ورقة أخذتها فاذا عليها :  
« إلى أوكتاف من ديجنه ، بشرط المعاملة بالمثل »  
وما قرأت هذه الكلمات حتى أدركت ما يرى  
إليه ديجنه من الهدائه إلى خليلته كما تهدي  
الجواري . . . وما كان ديجنه على ما أعرف به من  
الصراحة ليفعل ما فعل تضليلاً أو هزواً ، فهو لم  
يقدم على فعلته إلا ليلقنني درساً

إن هذه المرأة كانت تحبه ، وقد سمعني أنني  
عليها ، فأراد أن يردعني عن التعلق بها في حالتي  
قبولي لها ورفض

فوجت أنفوس في هذه المرأة ودموعها تتحدر  
على خديها ولا تجرؤ على مسحها خشية أن انتبه إلى  
بكائها ؛ وما كنت لأعلم بماذا تهدها ديجنه حتى  
أطاعت . فقلت لها : لا بأس عليك ، أيتها الأنسة ،  
ارجعي من حيث أتيت

فقلت : إذا أنا خرجت من غرفتك قبل  
بزوغ الفجر ، فإن ديجنه سيميدني إلى باريس ،  
وليس بوسمي أن أخالف أمره ، فوالدتي فقيرة

فأجبتها : إن فقرك يدفعك إلى تنفيذ أمر  
ديجنه إذا ما وافقت أنا عليه ، ولقد يستهويني جمالك  
الرائع ، ولكنك تبكين ، وما تذرفين دموعك من  
أجلي ، وأنا لا شأن لي في غير هذه الدموع . اذهبي  
وأنا كافل لك أن لا يرجعك ديجنه إلى باريس

\*\*\*

إذا كان التأمل صفة ثابتة من صفات العقل  
في أكثر الناس ، فما هو عندي إلا كعقوبة  
لا تتحكم إرادتي فيها ، فإن التأمل يجتاحني كنوب  
عاطفية شديدة لا قبل لي بردها ، فعند ما خرجت  
هذه المرأة من غرفتي جلست وقد اعتراني نوبة

أن تقتل جسداً ؟

ولكنك قد تكون عاشقاً لهذا الجسد فلا تجد أمامك إلا من يقول لك : أترع الكأس واذهب في سبيلك ، فان للجسد الذى تحترق من أجله ثمة معيناً . ولكن ديجنه يحب خليلته فهو لا يضنّ عليها بشيء ، فهل لهذا الرجل حب خاص به دون سواء ؟ لا ؛ إن هذا الرجل لا يعرف الحب ، ولا فرق عنده بين امرأة تستحقه وأخرى لا تستحقه لأنه لا يحب أحداً

وما الذى أبلغ ديجنه هذه الدركة من الشعور ؟ فهل هو خلق بهذه العاهة ، أم أصيب بها بعد ولادته ؟ إن ديجنه ليس رجلاً مادام الحب أرم للانسان من الماء والهواء . أهو أحد الجبابرة أم أحد الصعاليك ؟ فهو يرتنى على أحضان امرأة تمسقه دون أن يشعر بأية رعشة ودون أن يتوقع أى خطر ؟ وما الحب لديه إلا سلامة جسد بيدرة مال . أية وليمة هى حياته ؟ وأى شراب يتدفق فى أقداحه ؟ إن هذا الرجل لم يتجاوز الثلاثين من عمره وقد أصبح مدمناً على السم مكتسباً مناعة تهزأ بزغاف الافاعى التى يداعبها

إن فى الأمر لغزاً عميقاً يا بنى ، وعليك أن تجد له حلاً . مهما اجتهد أنصار الفحشاء بالتعاقب فانهم قد يشبتون ليوم من الأيام وليلة من الليالى ولساعة من الساعات أنها فاموس طبيعى ، ولكن إنباتهم هذا لا يصمد لوجه الزمان لأنه ليس من شئ على الأرض لم يعتبر المرأة رفيقة الرجل وسلواه ، أو المنبت المقدس لحياته ؛ وقد استحققت التمجيد فى الصفتين

ومع هذا فانك لترى من الناس من ينتصب

التأمل ، فاذا أنا أنأجى نفسى قائلاً : هذا قضاء الله فيك يا هذا ... لعل ديجنه كان على حق لاعتقاده بأنه إذا لم يرسل خليلته إليك لكنت تقع أسيراً فى هواها

أما دقت فى حسنها وجمالها فأدركت أنها آية فى الخلق وما تجود الطبيعة بمثلاً إلا نادراً ؟ ومع ذلك فان الرجل الذى يريد أن يشفيك من دائك لم يجد وسيلة أجدى عليك من الصاق شفتيك بشفتيها ليجو آثار الحب من قلبك

والكم رأى هذه الفتاة رجل قبلك فما استهدفوا للخطر الذى تراميت أنت عليه

وهذا ديجنه تعبد جمالها ولكنه لم يؤخذ به ، فهل يحيا هذا الرجل بلا قلب ؟ إن لهذا الرجل قلباً ولكنه يختلف عن قلبك شعوراً ، لأنه لا يمتد فى شيء ولا يهم بأى أمر كان ، ولكنه إذا أصيب بلسعة فى رجله فإنه يرتعش خوفاً . وهو المعتقد بانحصار الحياة فى جسده ، فاذا ما فقدته فقد الكون بأمره . أيمكن الانسان أن يحيا على هذه الوثيرة فيجلب روحه بالسياط كما يجلب المتعبدون أجسادهم ؟

افتكر يا هذا واعتبر أنك لترى رجلاً يضم بين ذراعيه أجمل امرأة وهو مشتمل بحرارة الشباب بعان لهذه المرأة إعجاباً بها وتعلن هى حبها له فيجيبه يوماً صديق يثق به ويقول له : إن هذه المرأة مبتذلة فيزول كل إعجاب وحب من قلبه ، ولو أن هذا الصديق قال له إن هذه المرأة جانية لما فعل هذا الوصف فى قلبه ما فماته كلمة « مبتذلة »

فما هى قوة هذه الكلمة يترى ؟ إنها ولا ريب تحمل العار ، وتنزل العقاب العادل بالمرأة التى استحققتها ولكنها ليست إلا كلمة ! وهل للكلمة

الكاذبة إلا بذورا لا تنبت غير المارة والأوجاع  
وقد استنفدت قواى حتى مللتها

إنها لكلمات لا يتفوه بها إلا القلائل ممن  
مشوا فى الحياة حيث مشى هذا الرجل ؛ غير أنهم  
لا يشعرون بغير معناها فى قلوبهم ؛ وأنا أيضاً لا أجد  
سواها فى صميم قواى

وبعد أن عدت إلى باريس فى أول الخريف  
بدأت حياة الشتاء مندفعا الى الملامى والآداب  
والمراسم ، فما كنت أفترق عن ديجنه إلا نادراً ؛  
وكان هو يبدى مزيد ارتياحه إلى ؛ وما كنت أنا  
مرتاحاً إلى نفسى ، لأننى كنت كلما توغلت فى هذه  
الحياة تتزايد همومى ، فما طال بي الأمر حتى بدأ  
هذا العالم الذى حسبته لأول وهلة واسع الأرجاء  
يضيق بي فى كل خطوة ، فكنت كلما لامست شبحاً  
من أشباحه يضمحل ويتوارى أمامى

وكان ديجنه يستفسرنى عن حالى فأقول له :  
وأنت مالك أيها الصديق ؟ لعلك تتذكر قريباً بآركك  
الى القبور ، أم إن فى صدرك جراحاً نكاتها  
رطوبة الشتاء ؟

وكنت أراه أحياناً يتظاهر بدم سماع ما أقوله ،  
فكنا نهرع الى الموائد ونشرب حتى نفقد الشعور ،  
أو نستأجر فرسين ونطلق الى الحقول قاطعين عشر  
مراحل لتتناول طعامنا هنالك ثم نعود لنستحم ،  
ثم نتناول العشاء ، ثم نتراكض الى موائد القمار ثم  
ننسحب الى أمرتنا . وما كنت أصل الى سريرى  
وأوصد الباب على حتى انطرح جانياً أذرف الدموع ،  
وتلك كانت صلاتى فى كل مساء

ومن غرائب حالتى أننى كنت أشعر بشيء  
من الفرور عندما كنت أتمكن من الظهور على

كلحارب المدجج بالسلاح ايندفع قافراً فوق الهاوية  
التي فصل الله بها بين الانسان والحيوان . ومن  
يقدم على هذا العمل فانما هو ينكر النطق على نفسه  
فيصبح كالوحش الأعجم خائفاً المحبة المفكرة الناطقة  
بقبلات الجسد وشهوته اذ يضع على فيه ما على أشداق  
الحيوان من طابع الصمت الأبدى

إن مثل هذا المسخ يقف أمام أشرف كلمة وجب  
عليه أن يتعلمها فينفخ عليها عاصفات من دياجى  
الغابة السوداء حيث يأتمر شياطين الفناء بالحياة  
لقد تجاوز هذا الرجل الحد الذى أوقف الله  
الانسان عليه ، فهو قد تفهقر عن هذا الحد أو اندفع  
إلى ما وراءه . . . وقد أصبحت أحشاؤه كاحشاء  
المرأة العاقرة أوجدتها الطبيعة ناقصة أو تسربت إليها  
قطرات أعشاب سامة تقضى على جرثومة الحياة  
إن العمل والمطالعة قصرأ عن شفائك يا بنى ؛

وقد أصبح شعارك أن تنسى وتعلم ، وقد كنت  
تقلب صفحات الكتب الميته ، وأنت لما نزل قاصراً  
عن دراسة الخرائب والاطلال . أنظر إلى ما حولك  
من قطمان البشرية وإلى عبنى أبى الهول تشعان بين  
ما خطته اليد المستترة . طالع كتاب الحياة أيها  
الطالب وارم بنفسك فى تيار الحياة فما الحياة  
إلا كنهر الستبكس فى الأساطير تولى مياهه المناعة  
لن يجرؤ على افتتاحه من الأبطال . أقدم فأما أن  
يقودك هذا التيار الى الموت أو يرفلك الى الله

## الفصل الرابع

قال القديس أوغسطينوس وهو الرجل الكامل  
عند ذكره أيام شبابه :  
— وما كانت جميع هذه المسرات والملاذات

وأشعر أننى رجعت الى الأيام التى كنت فيها طفلاً وبالرغم من أننى كنت أتبع دقة النظام الذى قررته أنا وأصدقائى فى حياتنا المشوشة ، فأننى ما كنت أهمل الذهاب الى بعض المجتمعات العائلية غير أننى كنت أشعر باضطراب شديد عندما كنت أنظر الى أية سيدة ، فإ كنت ألس أيدى النساء إلا مرتعشا بعد أن صممت على هجر الحب الى الأبد

ومع هذا فأننى رجعت ليلة من أحد المراقص وفى قلبى من الألم ما أشعرنى بعودة الحب اليه ، لأننى كنت جلست الى المائدة بقرب سيدة لها من الجمال والأدب الجلم ما لا قبل لى بنسيانه . وعند ما أغمضت عيني لأنام انتصب خيالها أمامى فحسبتنى مقضياً على بالهلاك ؛ ولذلك صممت على أن أجتنب أية فرصة تمكننى من الاجتماع بها . وبقيت أغالب نفسى خمسة عشر يوماً ما بارحت فيها مقمدي ، فكنت أنطح عليه ساهياً فتعمر فى تخيلتى جميع حركات هذه المرأة وكلساتها

وما طال الأمر حتى ذاع صيتى فى باريس حيث يترصد الناس لسكنات الناس وحركاتهم بأننى سيد الخلماء . وكان ذكاء العالم فى هذا مدعاة لعجائى به ، لأننى بعد أن كنت فى عينه أشد الناس حماقة عند ما وقعت لى حادثة خيلتى أصبحت الآن الرجل المتصلب الذى يتحكم فى شعوره . وذهب البعض الى القول بأننى ما كنت عاشقاً لهذه المرأة بل كنت ألعب دورى بمهارة ، فكان ذلك خير ثناء يوجهه هؤلاء الناس إلى

والآنكى من هذا أننى أصبحت أنا نفسى أنتفخ غروراً بهذا الشرف المسكين وأتألذ بفرورى

غير الحقيقة التى أعهد لها فى نفسى . فكنت أباهى بالاغراق فى وصف شرورى وأجلدلة شاذة يشوبها الحزن العميق ؛ وما كنت أشعر إلا بالملال عندما كنت أسرد حوادثى على حقيقتها ؛ وما أدري كيف أصف هذه اللذة التى كنت أستغرق فيها عندما كنت أقص وقائع جنون وفحشاء لا حقيقة لها

وما كنت أنالم لشيء تألمى لاضطرارى الى ارتياد الأماكن التى كنت أرافق خليلتى إليها فيما مضى ، فكنت أظهر كالمعتوه أمام رفاقى وأذهب الى مكان منفرد لأحدق فى أصول الأشجار ونبات الأرض ؛ حتى إذا مللت تأملى ضربت برجلي وحاولت تحطيمها . ثم أعود الى حيث أتيت وأنا أتمم قولى المؤلف : « إن الله لا يحبني » وكانت تنتهى هذه النوب بى الى سكوت بطول مدى ساعات

واحتات دماغى فكرة ملكت جوانبى وهى أن لا حقيقة إلا فى العرى ، فكنت أقول إن العالم يسمى أصباغه وأدهانه فضيلة ، ويدعو سبخته ديناً ، وأثوابه أدباً ولياقة ، وما الشرف والأخلاق إلا خدمات لقضاء حاجته . فالعالم لا يشرب خمرته إلا من دموع المساكين الذين يؤمنون به . فهو يمشى مطرفاً ما دامت الشمس تتكبد السماء فيذهب الى الكنائس والمراقص والمجتمعات ، وعند ما ينسدل ستر الظلام يتعري فقراء مومساً لها من التيس رجلاء ولكننى كنت أحتقر نفسى بهذا القول إذ كنت أشعر أن تحت هذا الجسد الذى تستره الأثواب هيكلاً من عظام فكنت أرتعش وأسأل نفسي ما إذا كان هذا كل الوجود

وكنت أعود الى المدينة فأصادف فى طريق فتاة تمسك بيد أمها وتسير معها فاتبعها بأنظارى متنهداً

وكننت موجهها كل جهدى الى أن يرانى الناس  
واصلنا الى مقام من تحجرت عواطفهم فى حين أنى  
كننت أشغل بالشهوات وتذهب تخيلاتى الجاحمة  
بى كل مذهب

بدأت أعلن أن ليس للمرأة أقل شأن فى  
نظرى ؛ وكننت أبذل الجهد لخلق أوهم أعلنها  
للناس وأقول إننى أفضاها على الحقائق فكأننى لم  
أكن أرى لذة إلا فى تشويه ذاتى ، وكان يكفينى  
أن تلوح لى فكرة تصدم الرأى العام لأنطوع  
للدفاع عنها مهما كلفنى الأمر

وهكذا بليت بأعظم النقائص والعيوب : بليت  
بتقليد كل ما كان يستوقف انتباهى لاجله بل لغرابته ؛  
وبما أنى لم أكن أراضى أن أظهر فى مظهر التقليد  
كننت أندفع الى المغالاة لأثبت أننى مبتدع لا تابع ،  
فلم أكن أرى شيئاً حسناً حتى ولا مقبولا ، وأبدي  
عجى ممن يفقدون رزائهم فى إعجابهم ، ومع ذلك  
أكن أنورع فى حماسى عند ما كننت أدافع عن  
نظرية أريد أن آخذ بها ، فكنت أندفع فى بيانى  
حتى تضيق اللغة عن امدادى بالتعابير اللازمة  
لابداء إعجابى ؛ وكان يكفى أن يسلم أخصائى بما  
أرى اليه لأفقد كل فصاحة وكل حماسة

وما كانت هذه الحالة الفكرية إلا نتيجة  
ملازمة لحياتى التى كرهتها وما قدرت على تبديل  
خطئى فيها . فكنت أعذب تفكيرى كأننى أنتقم  
منه وأأخذ كل وجهة طلبا للهروب من نفسى

ولكن بينما كان غرورى يداعب ذاته على هذه  
الويرة كان قوادى يتقلب على أوجاعه ، فكأننى  
كننت أنطوى على رجلين أحدهما ضاحك والآخر  
باك ؛ وكان الصراع مستمر بين دماغى وقلبى ، فكان

مراحى يدفعنى الى الحزن المفرط كما كان حزنى يثير  
مراحى فاستغرق فى ضحكى

وسمت ذات يوم رجلاً يتبجح بأنه لا يعتقد  
بأية خرافة وأنه يسخر بكل تفاؤل وكل تشاؤم فجاء  
أصحابه الى غرفته ومددوا على فراشه هيكلا رمة  
بشرية وكننوا فى غرفة مجاورة ؛ ودخل الرجل الى  
غرفته فى ساعة متأخرة فلم يسمع السكامنون أية  
حركة حتى الصباح ، إذ شاهدوا صديقهم جالسا  
على فراشه وهو يلعب بالمعظام . وكان الرجل قد جن  
وقد كان فى داخل شىء يشبه هذا الرجل يلعب  
بمعظام رمة محبوبة ، وماتلك الرمة إلا انقراض غرامى ،  
وهى كل ما تبقى لى من سالف أيامى  
( يتبع ) فليكس فارس

## فى الطريق

كتاب جديد يصدر فى سبتمبر

بقلم الأستاذ

ابراهيم عبد القادر المازنى

أكثر من ٦٠ قصة فى ٥٠٠ صفحة

قيمة الاشتراك فيه ١٠ قروش

الثنى بعد الطبع ١٥ قرشاً

ترسل قيمة الاشتراك بعنوان المؤلف

بشارع فاروق رقم ٢٢١ بمصر

الاشتراك بفصل فى منتصف أغسطس



هوميروس

الأميرة إلى القصر فلقبها بإخوتها الأمراء الخمسة  
النجلوب، فحاج الدواب وحملوا المطارف والنياب،  
وصعدت هي إلى مخدعها حيث كانت خادمتها المعجوز  
الشمطاء (بورغديوسا) تعني بنار الدفأة

ولم تنكد بور ترى سيدتها حتى حيت وبيت،  
وانطلقت تمد لها وجبة المساء

أما أوديسيوس فقد هب من مجلسه، ويم  
شطر المدينة، وقد نشرت حوله مبرقا — صفيته  
الوفية — ظلالاً وغماماً يحجبه عن أعين الناس حتى  
لا يضايقه أحدهم بسؤاله من هو وفيم أقبل ومن  
أى الأقطار جاء ... بيد أنها لاحت له قبل أن ياج  
باب المدينة في هيئة فتاة قروية كاعب تحمل فوق  
رأسها جرتها ... وتعمدت أن تعترض طريقه،  
فانتهزها فرصة وراح يسألها هكذا: « يا بُنيّة!  
أتسمحن فتدلينى على بيت رب هذه البلدة،  
ألكينوس الكريم؟ لقد نال منى الوانى وطول  
السفر، وحلت عليكم يا أهل فيشيا الأجويد ضيفاً



من  
اسكاطير  
الأولين

الأولاد لبيس

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

في قصر الكينوس

فروضة الفصل السابق

« لم يعد أوديسيوس من ضروادة فيمن عاد من أبطال  
الاعريق فطمع في زوجته الجميلة — بلوب — أمراء  
البلاد وحاصروا بيتها ليرغموها على اختيار أحدهم زوجاً  
لها. وقد ساءت هذه الحال إلهة الحكمة مينرفا وصديقة  
البطل غرخت ولده تلياك أن يبحر إلى أسبرطة وييلوس  
ليسأل الملوك عن أبيه وقد أبحر تلياك، وعلم أن أباه  
ما يزال حياً في جزيرة كالبيس عروس الماء — وغبط  
عشاق بلوب بالاعلوا ببحار تلياك فقبضوا به ليقتلوه  
في عودته. أما أوديسيوس فقد صنع له رمياً وأبحر  
عليه من عند كالبيس ولم يزل يصارع البحر حتى اقترب  
من سواحل شيريا ملكة أمراء البحر وهنا ثارت  
العواصف وكاد يفرق ... ونجا بعد جهد ونام في  
دغيلة في طرف غابة على سفح الجبل. وأقبلت نوزيكا  
إبنة ملك شيريا في ركب من وصيفاتها لتفصل مطارف  
عربها فنفت أوديسيوس الذي رجاها أن تمنحه  
دثاراً وأن تدله على مدينتها — وقد أعطته ما سأل  
ورسنت له الخطة التي يلتقي بها أباه الملك ألكينوس »

وفرغ أوديسيوس من صلاته، ووصات عربية

غير معروف ، من بلد سحيق ، فهل تفعلين ؟ »  
وقالت مينرفا — ذات المينين الزبرجديتين —  
وهي تجيبه :

« حباً أيها الغريب الوقور وكرامة ؛ سأدلك  
على بيت ألكينوس بنفسى ، فهو غير بعيد من  
بيت أبى ... ولكن لى إليك وصية ... إصمت  
مادمت سائراً ، ولا تحدج أحداً بنظرة ، ولا تكلم  
من أهل هذا البلد إنسياً ، فقد جبلوا على ازدراء  
الغريب وقلة إيلافهم ، وتلقهم فى فتور وبرود طبع ،  
وقد أحبهم نيتيون رب البحار فأذل لهم أعناق  
الموج وأسلس لسفهم أعراف الماء ، فهى تخطر فيه  
كالطير حين تحزف ، أو كالفكرة حين تخطر فى  
الخلد »

وتهدأت ربة الحكمة بين يديه ، وداف هو  
وراءها ؛ ولم تره جوع البحارة الحاشدة التى كان  
يسير بينها ، لأن مينرفا ضربت على أعينهم غشاوة  
عجيبة حجبتهم عنهم ؛ وكان ينظر بعين الدهش إلى  
مينائهم وسفائهم ورحبة السوق التى يأوى إليها  
أبطالهم ، وإلى تلك القلاع المحدقة بالمدينة فى أبهة  
وجلال ؛ ثم بلغا بيت الملك ، فقالت مينرفا :

« هاك يا أبتاه القصر الذى سألت أن أدلك  
عليه . وستلقى فيه رؤساءنا وأمراءنا أصحاب السمو  
يولون ويقصفون ، فسلم فالفهم بقلب رابط وجأش  
ثابت ، فهم أعجب الناس بشجاع جرىء ، وأكرمهم  
الاجيء غريب . وستكون الملكة أريتا — سائلة  
الشرقاء الامجاد آباء ألكينوس الكبير ، وحفيدة  
المردة الجبابرة من ذرارى نيتيون<sup>(١)</sup> — أول من

(١) آثرنا ألا نثبت هنا ما ذكر هومر من نسب الملكة

تلقى . إنها سيدة قومها ، وهى محبوبة مبعجلة إلى  
درجة التقديس من زوجها وأبنائها ومن جميع  
الفياشيين ملوك البحار ، الذين طالما تكبكبوا حول  
موكبها فى شوارع المدينة هاتفين داعين ... إنها  
تجلس وقوراً كاحدى ربات الأولمب فتغمر بالحبة  
أبناءها ، وتقضى فيما يشجربينهم ... لك الله ياسيدى  
إن قدر لك فاستطعت لقاءها ... إنها إذن تمنحك  
برها وتسبغ عليك من بركاتها فتعود إلى بلادك  
راضياً ، وتلقى آلك وخلانك عزيزاً مكرماً »

ثم غابت مينرفا عن الانظار ، وغادرت أرض  
شيريا الحبيبة إلى مراثون — ومن ثمة رقت رفة  
فكانت فى أثينا حيث أوت إلى قدسها الكريم  
إركتيوس

ودخل أوديسيوس قصر الملك هيبابا متخاذلاً ،  
غارقاً فى بحر لجى من الوهم والفكر ، لأنه ما كاد  
يطأ بقدمه وصيد الباب الكبير حتى بهر لآلاء  
شديد خاطف ينبعث من الداخل ، يزيد فى شدته  
ولماته تلك الجدران المصفحة بالنحاس يزينا إطار  
من اللازورد الأزرق ، وتلك الأبواب الهائلة من  
الذهب الخالص ، والعماد السامقة من الفضة المجلوة ،  
تكلمها تيجان من النصار الثمين . وعلى اليمين وعلى  
الشمال ربضت كلاب من ذهب ، صنعة فلكان ،  
صناع السماء الخالد ، وخالد أبد الدهر كل ما صنعت  
يدا فلكان . ثم تلى بعد ذلك ردهة فسيحة مترامية  
صفت إلى جدرانها كراسى كأنها عروش ، وُبئت  
فوقها نمارق ذات أفواف وشفوف ، صنعة وصيفات  
القصر ؛ وهنا ... يولم الملك لأمرء شيريا ... فيقف  
الولدان فى جلايب من ذهب ، وفى يد كل شملة  
تسكب الأنواء من فوق المذبح على جموع الطاعمين

مُلك كبير وآلاء وافرة أسبقتمها الآلهة على  
ألكينوس الملك !

\*\*\*

وقف أوديسيوس مسبوه اللب ، مشدوه  
الفكر ، يردد طرفه في هذا المنظر العجيب ، ثم أفاق  
نحطر إلى الداخل ، حيث اجتمع زعماء المدينة  
وشييوخها يصبون الخمر باسم هرمل رسول السماء  
تقدمة وقربانا ، وصلاة لخاتم أرباب الأبواب قبل  
أن يأووا إلى مضاجعهم . ولم يتلبث عندهم ، بل  
تقدم في خطى حثيثة برغم إعيائه ، وكانت ميترفا  
تحجبه في ظلال كثيفة من أعين الملأ ، حتى وصل  
إلى حيث يجلس الملك والملكة ، فكشِف عنه  
غطاؤه ، وجثا عند قدمي الملكة يبث شكاته بين  
دهش الملكين الكريمين وشدة تحيرها :

« أريتا يا ابنة ركسنور صني الآلهة ! أتوسل  
إليك وإلى المليك العظيم ، وأضيفكم النبلاء ، من  
الله عليهم ، وضاعف لهم آلاؤه ، وأنعم على ذراريهم  
وألف بين قلوبهم وقلوب رعاياهم ، أتوسل إليك  
يا سليلة المجد ضارعا أن تعطيني عليّ ، وأن تكرمي  
مشواي ، وأن تعينيني على الرحلة من فودي إلى  
بلادى التى أتحرق إليها شوقا ، والتي فصلتني عنها  
أهوال وأهوال ! »

وساد سكون عميق وصمت ، وظل البطل  
المسكين جاثيا عند حافة الموقد المتأجج ، حتى  
تفجرت شآبيب الرحمة والحنان في قلب إخنوبوس ،  
ابن الملك البكر ، فراحت الكلمة الطيبة تتدفق  
من فيه الجليل العذب في فصاحة وتبيان ، وحكمة  
تقليدية ، وخير ، حيث قال :

« حاشا لمجدك أيها الملك أن تدع هذا الغريب

في كل ليلة ... يا للقصر كأنه جنة الخلد ؟ ... إن  
خمسيف من غيد شيريا الرعايب يخدمون الملك  
نمة ... بطحن القمح وبنخان الدقيق ، ويندفن  
الصوف ويعملان على النول ... مائسات كأفنان  
الدوح يداعين النسيم الحلو ... حاذقات في الغزل  
والنسج كأحذق ما يكون بحارة شيريا في عنفوان  
العاصفة ... قد تغفن صناعتهم عن ميترفا فافتتن  
وأبدعن إبداعا . ثم تكون البوابة الكبرى ، حيث  
فردوس القصر اليانع ، وجنته دائية القطوف ،  
ذات الأسوار المنيعه المحيطة بهذه الأربعة أفدنة .  
للآلهة هذا الدوح قد بسق في جنباتها ؛ والآلهة  
أشجار الرمان المثقلة بأثمارها مفترة عن شفاه  
الأقحاح . وحمرة الحجل قد خضبت حدود التفاح  
والكمثرى ، وسالت قطرات من النهد في ثمرات  
التين ، وتأججت أنوار آ زاهية في أفنان الزيتون .  
فاكهة شهية جنسية لا مقطوعة ولا ممنوعة شتاء  
وصيفا ، يانعة أبدا ، تداعبها أنفاس ( زفير رب  
الصبا فتشيع فيها النضج والهاء ، كلما قطعت يد من  
جناها ثمرة نمت مكانها في الحال ثمرات ، فما تقل  
آخر الدهر قطوفها وما تنقص

وخلال هذه الجنة المثمرة تمتد الكروم ذات  
الأعقاب والرطب والعناقيد من نور ، بعضها يعبر  
فتقطر الخمر منه ، وبعضها يحف على سوقه فيكون  
زيبيا جنيا . ثم توشى أطراف الحديقة أحواض  
من الزهر المشذب المنسق ، وتتفجر في وسطها  
عينان فضاختان ، يترقق الماء من إحداها كاللجين  
في مسابيل هذا الروض ، وتتدفق مياه الأخرى في  
نهر صغير ينساب الى المدينة من تحت عتبة القصر  
فيرتوى الأهلون منه

جائياً هكذا في غبار الموقد وفي وهج النار ، وأن  
تستريح أضياؤك ينتظرون أمرك . . . وما تكلم  
منهم أحداً إلا أخذ بيد الغريب وأقدمه مقعد  
الندى ، ومر الندمان يسقه من كأس جوف كبير  
الآلهة<sup>(١)</sup> ، وحبيب الغرباء وذوى الحاجات ،  
والنادل يهيء له عشاء مما تبقى من ولية الليلة »

وما كاد الأمير يفرغ من قائلته ، حتى أنهض  
الملك أوديسيوس وأجلسه على كرسي نخم جانب  
ولده الحبيب الحكيم لاوداماس . . . ثم أقبلت  
إحدى وصيفات القصر فصبت الماء على يديه من  
أبريق فضي ، ثم أحضرت مائدة حافلة بأشهى  
الأكل وأطيب اللذائذ والأشربة ، فأكل  
أوديسيوس وارتوى ، وأمر الملك كبير الشقة  
يونتونوس ، فزج الراح وقدمها إلى الجميع حيث  
صبوها مقدمة أجوف رب الصواعق وكبير الآلهة ،  
وحبيب الغرباء ، وحامى ذوى الحاجات ، ثم شربوا  
بعد ذلك حتى رووا

وقال الملك : « أيها الرؤساء والشيوخ  
الغياشيون كلمة عفو الخاطر ، فاسمعوا وعوا . . .  
لقد طعمتم جميعاً وستفرقون إلى مضاجعكم ،  
ثم يجتمع عند مطلع الفجر نحن ، ومن لم يحضر من  
نواب الأمة الأجلاء ، فننظر في شأن هذا اللاجئ  
الغريب ، بعد أن نضحى للآلهة . . . إنه يطلب  
أن يعود في حمايتنا إلى وطنه كيما يصل سالمًا  
غائماً من غير أن يمسه أذى ، إلا أن تكون ربات  
الأقدار قد قضت عليه أمراً ، وإلا أن يكون من  
أرباب السماء الخالدين . . . لقد وصلت بيننا وبين  
الآلهة وشائج القرى ، وطالما غشيت مجالسنا

(١) في الأصل ( رب الصواعق )

وشاركت في ولائنا ، وهي تبقى على محبتنا ،  
فلا تمس بأذى رجلاً منا يضرب في الأرض ، وليس  
ما بيننا وبينها بأقل مما بينها وبين السيكلوس  
أو المردة الجبابرة ، وفي ذلك فخارنا وهو آية مجدنا »  
ونهض أوديسيوس الحكيم فقال : « غفراً  
غفراً أيها الملك : ما أنا في الآلهة ؟ أين لي  
خلة معها السوى ، وكيانها السماوى ؟ بل أنا شقى  
من أبناء هذه الغرباء ، أثقلت كاهله جملة هائلة من  
الكوارث والآلام ، حتى لا يعرف الناس من شقى  
شقاءه ، ولا من تحمل مصائبه وأرزاءه . . . بلأيا  
صبتها على رأسه الآلهة فصبر وأنا . . . أوه ! أبداً  
لا أنتهى إذا سردت لكم طرفاً يسيراً منها ! ولكن  
لاداعى الآن . . أرجوكم . . أتوسل إليكم . . دعوني  
أتابع بهذه اللقائات في هذه المدة الحائلة من الراحة  
التي لم أنعم بثلاثها منذ بعيد . لشد ما يصرخ الجوع  
في أذنى الجوعان ، واشد ما يمدب الطوى ! إنه ياح  
عليه بكل صنوف الألم ، حتى ينسيه آلامه وأشجانه .  
إن له شبهة عالية الصخب تطلب العون في جوار  
وجنون ، حتى ليضيع في نجيحها هتاف جميع الآلام  
إلى أن تكفى . عفواً أيها السادة ! إنى أفئأ أضرع  
إليكم أن تيسروا لى عوداً أحمد ، وأوبة سالمة ، بعد  
طول المناء ، والشقاء الذى ليس بمدى شقاء ؛ إنه  
لا أحب إلى من أن أودع الحياة بعد نظرة واحدة  
أترودها من أهلى ووطنى . »

ونأثر القوم من أجله فأثنوا عليه ، وانفقت  
آراؤهم على معاونته حتى يعود إلى بلاده ويأوى ذويه  
ثم نهضوا فصوبوا خمر الصلاة باسم الآلهة ، وشربوا  
نخب رب الدار ، ثم تفرقوا إلى منازلهم ، إلا  
أوديسيوس ، فقد ظل جالساً ساهاً واجماً ، كما ظل

والآ كال ؛ ثم أرسلت بين يدي ربحاً رخاء  
ما انفكت تجري بي في عباب من بemde عباب طيلة  
سبعة عشر يوماً ... وفي الثامن عشر لاحت قم  
جبالكم الشم تخفق قلبي فرحاً ... بيد أنه كان  
أملاً خائباً لم يطل أمده ... فقد أبت نبتيون الجبار  
إلا أن يقف بسبيلي ، وإلا أن يرسل ربحاً معاكسة  
تثير الموج وتهمسج اللج ، وتمزق ما التأم منى ومن  
فلسكى الصغير - الذى كان كل أملى .. ولم يعد بد  
من أن أ كافع الماء ، وأذرع اليم بالسباحة ، حتى  
تضافت الريح والموج ، فقد فاني إلى ساحلكم  
ذى النوى .. ولم أحتمل صدمة الصخور ، فنضجني  
السيل الرابى إلى الأعماق كرة ثانية ... وشرعت  
أ كافع مرة أخرى ، حتى نثرني موجة مزبدة في  
نهر وديع متطامن ... فسبحت إلى إحدى  
عدوتيه ، واستلقيت على الشاطئ ، خفق الأحشاء  
منهوك القوى ... وأقبل الليل فتهالكت على  
نفسى إلى دغيلة مهدتها بمساليج وشىء من القش  
وفروع الشجر ، ونمت ليلاً طويلاً ونخوة متمبة  
وظهيرة كلها نصيب وإعباء .. ثم أيقظتني صيحات  
قرية مرسنة ، فاذا ابنتكم الأميرة الحبيبة الحُسنان  
في ررب من أترابها يتلاءمين كربات الأولب على  
رمال الشاطئ ... وجثوت تحت قدميها ، ومازات  
بها أمتعاً شبابها الفص يدعوات ممسولات ، وأثير  
نخوة صباها الفينان حتى أمرت لى بطعام شهى  
ونحر معتقة ، وأشارت إلى منعطف فتوجهت إليه  
ففسلت ما على جسمي من خبث ، ثم منحتني هذا  
الصدار وذاك الدنار ...

تلك قصتي أسردها عن قلب محزون .. ما فيها  
أثارة من مين «

قال الملك : « لشد ما أخطأت بنيتي إذ لم تصحبك

المكان إلى جانبه ساهمين واجمين ، والنذل فيما بين  
ذلك يحملون أطباق المائدة وأكوابها ، حتى إذا فرغوا  
أخذت الملكة تتحدث إلى أوديسيوس ، وقد لفت  
نظرها هذا الثوب الغضفاض الذى كان يلتفع به :  
« والآن جاءت نوبتي في التحدث إليك أهذا  
الغريب الكريم ، من أنت ؟ ومن أين أقبلت ؟  
وأنى لك هذا الصدار وذاك الدنار ؟ ألسنت قد قلت  
إنك غريب نازح أفلتتلك المنايا في لجج البحر ؟ »  
وقال أوديسيوس بحبيب أربنا :

« أيها الملكة : قد لا أفرغ من الحديث إذا  
حاولت أن أسرد قصتي بحذافيرها ؛ بل ليس أشق  
على من ذلك ، فقد كرتنى الآلهة بكل أنواع المعلوم  
وصنوف الآلام ، بيد أننى ألم بأسأتى المحزنة في كلمات  
فأقول : « في أوجيجيا - إحدى الجزر القاصية  
التي لم تطأها قبلى قدم بشر ولم يخطر بها إله -  
تقيم عروس الماء المفتان - كليسو -  
البارعة الرائعة الصناع ، ابنة أطلس الجبار التي  
قدر على أن أكون أول لاجئ إلى جزيرتها  
بمعد أن ساط جوف صواعقه على سفينتي  
فشطرها وأغرق كل رجلى ، وظللت أنا متشبهاً  
بالسارية ليالى وأياماً ، حتى دفعتنى المقادير في  
الدلة العائرة إلى ساحل الجزيرة حيث آوتنى  
كليسو الجميلة الريانة ، وأقذتني من موة أكيدة  
وأطعمتني وأكرمت متواى - ثم عرضت أن  
تهبني الحياة الخالدة والشباب الأبدى ، لولا أننى  
تأيت ... ثم أفت عندها سبع سنوات لم يرقأ  
طوالها دمى الذى نضجت به أثوابى وما خلدت  
على من دنار ... وفي التامنة أرسل إليها جوف كبير  
الآلهة من بأمرها باطلاق سراحى ، فأبحرت على  
رمث زودته بالأطايب والأذخار ، والأشريات

في غير عناء أو اعياء ، وستعرف سبب فخاري  
بسفائني وبحارتي الذين يذرعون البحار ويضربون  
أكبادها حين يبحرون بك »

وشاع البشر في أسارى أوديسيوس ذي  
التجارب فقال : « أيها الأب الخالد ! الله محامدك  
الفر ! أنجز يامولاي يسر ذكرك في البلاد ، وألق  
أهلي وأنتش نسمة من وطني »

\*\*\*

وهكذا تشقق الحديث بينهما ...  
ثم أمرت الملكة بعض وصيفات القصر  
فأعدن فراشا وثيرا في الرواق ذي الأعمدة ،  
وهيأه بوسائد من دمقس ، وبثن فوقه الأرائك  
والحشايا ، وعلّقن الستائر والأسجاف ، ووضعن  
البرانس <sup>(١)</sup> واللحف ... وكانت كل منهن تحمل  
شعلة كبيرة تتوهج في جوانب القصر ... حتى إذا  
فرغن من كل شيء ، دعون أوديسيوس في أدب  
وظرف أن ينهض لينام ... وغفا بطل هيلاس ...  
وأسلم عينيه لأحلام سعيدة  
ونهض الملك والملكة لينعما بطيب المنام  
( يتبع )  
دريتي خضبة

(١) البرنس بمعناه المعروف عربى فصيح

## رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشا

إلى هنا في جملة حشمتها ما دمت قد رجوتها في  
ذلك أول الامر »

وقال أوديسيوس يجيبه : « إنها لم تخطئ أيها  
الملك الكريم وما عليها من ملام . لقد كنتي في  
مثل ذلك فأيت لأنى خفت أن يسوءك ذلك منها  
ومنى ، ولأنى أعلم أن الناس في كل مكان ظنانون  
قوالون »

فقال الملك : « كلا أيها السيد ، إن صدرى  
لا يحمل مثل ذلك القلب التزق ... إن الرصانة  
والأمانة أفضل ميزات الخلق الكريم ... تالله يا بنى  
إنى لأوثرك كولدى ، وبودى لو قبلت فصهرت  
إلى وتزوجت ابنتى ، وعشت معنا كواحد منا ..  
وإنى - إن رضيت - لقطعك الأقطاع الشاسعة  
وماحك المنزل الرحب . هذا وليس في فياشيا  
كلها من يجسر أن يقسرك على شيء تأباه نفسك .  
معاذ الله يا بنى ... إن هذا إلا عرض ... مجرد  
عرض منى لما أنسته فيك من سمو ورجاحة عقل  
ونبل ... فإن لم يرقك أن تفعل ، فانى معذ لك  
أسباب عودتك غدا ، وستنام ملء عينيك بينما  
يكون الفلك ينهب اليم ويطوى العباب ، منسربا  
فوق الموج بقوة الأذرع الفتية التى تعمل فى  
المجاذيف حتى تصل الى وطنك سالما غانما بل حتى  
تصل الى أبعد منه ، ولو الى ما وراء أيوبيا أبعد  
الجزائر منا ، حيث يحمل بحارتنا ردمنتوس <sup>(١)</sup>  
ذا الشعر الذهبي لزبارة تتيوس <sup>(٢)</sup> جبار الأرض ..  
لأنهم يبحرون به الى هذه الجزيرة ويمودون فى يوم

(١) ابن زيوس من زوجته أوروبا وقاضى العدالة  
فى الدار الآخرة « هيدز » « جرير »

(٢) أحد مرده طارطاروس ويغضى جسمه مساحة  
تسعة أمدنة ( جرير )

كمصفور جريح شفاء  
الحب . إنني داخلته إلى  
غرفتي

( تقول لنا بتمها )

أرماندا ! هاتي حجابي .

باريس — ( بوحشة )

لقد خيل إلى أني أرى  
أبا الهول تكنتفسه النجوم  
وقصائدي الانسانية كانت  
تؤيسنا في بعض الأحيان

ولكنها تصبح أحسن رونقاً حين تمر على لسانك  
الشادي ! وشكراً لك لأنك كنت في هذه اللحظات

القصيرة تقرنين شعرنا إلى أحلامنا !

إيزابيلا — ( تبعد عنه مرسلة إليه قبلة )

لسكي يصح ترديد الشعر بذوق سليم يذنبني تقبيل  
الغم الذي أخرجه

( تمضي إيزابيلا ... وأرجاني يدنو من باريس )

أرجاني — لا تذهب ياسيدي ، فالمدينة جماء  
تريد أن تهتك !

باريس — زهوك يبالغ في ذلك ؛ فليكن  
ما تريد ... سأستقبلهم !

أرجاني — ( بزهر )

اسمع كل هذه الأصوات !

باريس — ( من غير أن يعي ما قاله أرجاني ، وقد  
ملك عليه حلم وكآبة )

هل تكون قطعتي مجموعة سمعتي المكتوب ؟  
وهل أراني أودعت على الصفحة السرية فؤادي كله ؟

أرجاني — هل يحسبهم ؟

( يقدم المعبون كالوج ، وفي المقدمة الأمير وصديق  
الوئف )

الأمير — شيء رائع !

# سيرة الحب الهول

مشرحة شعرية في أربعة فصول

للكاتب الفرنسي ماري رستان

بقلم الأستاذ خليل هنداوي

## الفصل الرابع

بعد انقضاء عام على المسرح الروماني حيث يعاد  
تمثيل « أبي الهول » بعد انتهاء التمثيل . في الزاوية  
( أبو الهول من الورق ) . عن اليمين باريس بالقرب  
من إيزابيلا وهي تزي أبي الهول . أرجاني يتحدث  
سانتيا ، والعمال منتزون في كل مكان

### المشهد الأول

باريس ، إيزابيلا ، سانتيا ، أرجاني ، العمال ،  
المعجون والمعجبات

أصوات العمال — ابتمدوا .... الستار ....

من الباب الحديدي

إيزابيلا — ( لباريس بشيء من الكآبة المنقبطة )

آه لو كنت تعرف ، بالرغم مما تذوقت من الألم ،

أية سعادة تغمرني في إذاعة اسمك في هذه القاعة !

عندما سميت « اسمك » اختنق صوتي ، وأصبحت

شاحبة الوجه ، باهتة اللون . قلت : « قطعة باريس

إيجلانوا » ولك — يا حبيبي — قد صفقوا وهتفوا

باريس — شكراً !

إيزابيلا — لقد أعدت إليك قاجك ، والقطعة

التي تمزقت هنا قد حلقت منتصرة وسط هتافهم

الصديق - وباعث على المعجب !  
( يعانقه ثم يلتفت إلى امرأة خلفه وبصوت منخفض )  
رديء جداً

غيره - يملك الأفئدة

» - يهز القلوب

» - يتركها حائرة

» - يبعث فيها القوة

» - يزيد في حركتها

سانتيا - إنك لم تباع في حياتك مثل هذه

الرقعة البعيدة

غيره - في اليوم الذي تريد ستكرن عبقرياً

صديق المؤلف - كانوا في الفصل الأول

جامدين ؟ وقد كنت أول هاتف لك . نعم ! لقد

صحت : أحسنت بصوت رنان من مقصورتى

باريس - إلى مدين لك من غير شك

بظفري

امرأة - إن مروحتى تحطمت ، لم يبق منها

إلا جناح واحد !

غيرها - قد تمزق قفازى لكثرة التصفيق !

» - من حسنك أنك منعتها عنا زمناً

طويلاً حتى تعرضها علينا آية كاملة

فتى - أنك لا أكبر شاعر عليها ، بيرون !

أقول : بيرون أودانى ...

باريس - لا تبألغ ! لا يُعرف « بيرون »

إلا بعد مائة عام بعد موته . ليس المجد المتألق على

جبين الأحياء إلا ضامناً لخلود الناس . إنك بعد

موتى تستطيع أن تحكم على

إرجانتى - ( مرفأ « باريس » برجل كهل متألق

يدعو مشبهه إلى الهزؤ :

الدوق دى لييجانو

الدوق - أتذكر - أيها الأستاذ - في

بالرما إحدى الأمامى الراقصة ؟

باريس - ( يحاول أن يذكر عبثاً )

ربما ...

الدوق - إنك توحى إلى وسيلة الكتابة

باريس - ولكن ...

الدوق - كيف تنظمون الشعر ؟

باريس - نعد على الأصابع

الدوق - نعد حتى الثانية عشرة ثم نبدأ

باريس - أنظم الشعر بينما ترقص الدوقة !

لقد قيل لى - والمهدة على الاشاعات - إن

الدوقة تحسن الرقص . إنها ترقص . وتستطيع

أن ترقص بينما تقرض أنت الشعر !

الدوق - لقد طرقتنى هذه الفكرة يوماً أثناء

طوافى على البحيرة . أود أن أنظم مقطوعة ...

باريس - ومقطوعة ثانية : وأين الدوقة

الآن ؟

الدوق - إنها رحلت ... ولعلها في هذه

اللحظة تزور هيركولا نوم

( يعضى الدوق )

المعجبة - ( تلتق بنفسها على باريس )

سيدى ! إنك ستكتب كلمة على مجموعتى هذه

تجد فيها كلمة من الملاك الكبير ، وكلمتين من

الراقص الروسى . وكان يجب حتماً أن أحظى بها ،

ولدى فكرة سطرها عضو فى المجمع العالمى

باريس - كنت إخال أنهم لا يفكرون فى

شئ ، فأوليتى مجموعتك !

المعجبة - إليك قلمى !

باريس - بلى ! سأكتب ، ولكن من

أنت يا ذات العينين اللامعتين ؟ إلى أود أن أعرف

كيف يدعونك ؟ وما اسمك الصغير ؟

المعجبة - أنا المعجبة الحسناء أجلس فى المواقع

الأولى مسترسلة لأحلامى ، أنظم وشاحى من القطع  
التي أسممها ، إني جميلة وذكية الفؤاد أيضاً ! لماذا  
تريد أن أقول لك « اسما » ستفساه عند ما يجتذب  
الفجر قلائده الليلية . وكأنه يريد أن يظل وردى  
اللون ! ...

أما المعجبة الحسنة !

( تدهب )

ارجانتي — ( يقدم لباريس رجلاً ينحن أمامه )

أرجوك الانصات له !

باريس — من هو ؟

ارجانتي — مدير مسرح أنجوايزى شهير ود

أن يمثل « أبا الهول » فى مواطن شكسبير

المدير — متى تشاء أن أنكلم معك ؟

( تتلاشى نعمة المحاورة إذ يصعدون ، والتفرجون  
والآخرون يتناقشون بصراحة )

المعجبة — لم ينظم فى حياته أوسع ولا أنم

من هذا ؟

امرأة — ( مقبلة على فريق )

إننى أوتر قطعته التي كان يمثلها « فوستين »

زميل — إن ظهرو « أبى الهول » سخيف !

كاتب — هذه ليست بقطعة ، إذ ليس لها

إلا مؤلف واحد !

الأمير — ( بسخرية )

ما تصنع أنت ؟

الكاتب — معين !

أصوات — وهل يتكلم هكذا أبو الهول فى

فى المساء الأخضر ؟

أصوات أخرى — فيها كثير من الأبيات

الجميلة ، كثير من الأبيات الرائعة !

ارجانتي — ( لباريس )

يجب أن تكون سعيداً !

شامت حسود — إن المرح الغنائى أصبح —

اليوم — نثرأ لا شعراً

الغيور — ما هذا ؟ الجلال ، الجلال ؟ وما تريده

هو البساطة

غيره — شعر ليس له روح الشعر

الغيور — موسيقى ليس لها تأثير فى أنفسنا !

أهذا شعر يصفى له ؟ إن هذا شئ عجاب ! حدثني

عن « ساندور » مثلاً ، فهو شاعر ، قد يمكن أنه

لا يفهم ولكن موسيقاه مؤلفة من ألحان متطابقة

الأمير — ( كتجاهل )

ومن هو ساندور ؟

الغيور — هذا هو فى الحقيقة إنسان ! ومن

يتلو شعره يا عزيزى لا يذكر بيتاً منه . وهنا

يظهر سره ! ذاك شئ غريب ، إن بيتاً واحداً

يبقى شهيراً

الأمير — ولكن هنالك مجموعة شهيرة ، وأنا

أحب المثانى

الحسود — نعم أعلم ذلك ، ولكننا إذا فكرنا

قائلاً نراها ليست على شئ . قلم ... وسكون ...

وساعة عمل ، أعطيك فيها مئة بيت على طرازها .

القانون سهل والأسلوب جميل . والبيت من الشعر

لا يحسب بيتاً إلا إذا خطر بمجنحين

الأمير — ألا ترى ؟ إن بي ضعفاً عن محبة

البيت المجنح !

بلى ! برغم « ساندور » وبرغم جميع الذين

يرون أن القصيدة ليست خفقة قاب ، ولكنهم مسألة

يمكن حذوها كحذق الطهى ، إنه يغدو نفساً تحترق !

إننى أحب الأبيات المجنحة على أن تطير !

الحسود — ولكن لا شئ أسهل من ذلك

ولا أقل نصباً

الأمير — وإذا كان الأمر سهلاً بهذا المقدار

فانت به !

( يعنى باريس وخلفه ارجانتي ، والجميع يهتفون له مرة الأخيرة )

باريس — ( شاعراً برياء البعض )

كثيرة هي الأكف التي تمتد للمصافحة

ارجانتي — الفوز !

باريس — على أن كثيراً من هذه الأكف تقف جراحاً

المدعوون — أيها السيد :

باريس — ( ضاعطاً على يد ارجانتي )

عفواً يا ارجانتي ! افهم نفسك . إن الأيام التي تفتقر

فيها إلى كل هذه الأكف الممدودة ، وإلى كل هذه

الضجة الهائجة ، لا ترى منها أحداً عند الناثبات

في هذا المساء ما عسى أن يصنع لنا هؤلاء

الخافقون ؟ إننا في أيام الشقاء نحتاج إلى أصدقاء

( يتحدث مع سانتيا الداهية )

أذاهبة ؟

سانتيا — ( مع صديقتين لها )

عد معنا !

باريس — إنني أنتظر إيزابيلا

سانتيا — إلى الغد ...

باريس — ( تناولوا باقة زهر كان قد أخذها من

إحدى المعجبات به )

تناولوا هذه الأزهار ، ورسموا أزهارها صورة

أخيك . يجب أن تفعل لأن الصور هي قبورنا

الحقيقية

سانتيا — شكراً

باريس — إن الأموات الذين لا ينساهم أحد

هم الأحياء المجهولون الذين يخفقون فوقنا

( باريس وحده مع ارجانتي على المسرح الفارغ )

ارجانتي ، ارجانتي ! لماذا أنا لست هنالك ؟

وكيف استطعت أن أعود إلى أوروبا بعد ما وُطئت

قدمي الصحراء

ارجانتي — عفواً !

باريس — لماذا أنا لست هنالك ؟ هنالك في

تلك البقعة أمام النيل ؟ وعلى جوانب الصحراء

حيث تتهايل ظلال النخيل الأزرق منذ آلاف

الأمم ، وحيث يرعى المساء ظله على حفاقي الرمل

المتورد ، فيبدو الراعي شاعراً وإن لم يفهم يشعر

هنالك ! يا ارجانتي يجب أن نحيا والحب يغمرنا

ارجانتي — ( وقد نفث عنه الأذخلة )

لقد كانت القاعة طالحة بالناس

باريس — ولكنها الآن فارغة ، إن كنا

واحدًا إذا أغمض جفني ترك الوجود فارغاً !

( ينظر إلى الظلمة ، والقاعة الفارغة )

إلى ! القاعة فارغة ، لأنني لم أستطع أن

أصافح بيدي يد مارسيللوس ، لأنه هلك هنالك !

ارجانتي — ولم نفكر فيه من دون انتهاء ؟

باريس — لقد وعدته بأن أعمل !

قال لي : « إذا هلكك قبلك ؛ وإذا قُدر

— على عكس الدستور — للأكثر فتوة بأن

يقودك إلى هذا السرب المظلم فاعمل ... » إنك

تراني يا أخي — اعمل ، وقلبي يجيب على ذلك السر

الأعظم الذي أذاقك حنثك ...

ولكن هل لاحظت شيئاً غريباً ؟

ارجانتي — لا !

باريس — في هذه الظلمة التي تستقر فيها

نظرتي ، وفي هذه القاعة القاعة التي لا أبصر فيها

شيئاً ، يحيل إلى أن نظرة قديمة تتبعني ! ألا أي

ملازم لي يدخل في نفسي ويثأر مني ! إلى — منذ

عام — أراه يقتني أثرى ، ويطأ موضع قدمي !

ألم يبق أبو الهول هنالك ؟ فلماذا هذه الصورة

تطوف حولي بدون انتهاء ، تؤلمني وتزيد صدري

حرجاً ؟ كأنني معند مزرقة خوذته النحاسية

باريس — إيزابيلا ...

إيزابيلا — أحبك حين تنفغو ، منهوكا ،  
متلاذئكا ، على ذراعى كما يغفو الطفل الوديع ؛ وفي  
بعض الخطرات أتيقظ ، فأرى وجهك الساكن  
يطفو عليه الرقاد . إنك لا تدري أى ظفر يمررنى  
حين أراك هكذا ؛ لا شئ عندك ! والجمهير التى  
تمبك أفردتك وحدك . تستطيع أن تنام هادى  
الاعماض ، حراً مجهولاً ، متأثراً من الضف ، بوجه  
فتى حتى كوجوه أولئك المحبين حين يغمضون العيون

باريس — إيزابيلا !

إيزابيلا — ( بشف )

إن عينيك المطبقتين هما كالفجر الذى أشرق  
على ضفة مشهد ! إننى لأخشاك حين تكون عينك  
مغمضتين ! فنظرتك الخطرة التى قد تكون غاضبة  
وجميلة فى الوقت ذاته تتوارى تحت جلباب الليل  
الذى نآلف من ظلمة الألوان ، وانطباق الأجفان .  
أرأى أكثر الناس تعلقاً واختلاطاً بك ! أنلقن  
منك الأمرار المجهولة حينما تطوق ذراعى الماريقان  
رأسك ! هى لا تعلم شيئاً من لم تبصر محبتها وتأمل  
فيه وهو نائم مطبق جفنيه ، ومن لم تمد لتفتح  
— خلال رقاده المنهوك — عينيه بقباهما

باريس — إيزابيلا !

إيزابيلا — غداً ، عندما الفجر الجديد البازغ  
على سرير الحب يفتح عيوننا ! تلج بذهول الصحف  
التي تتحدث عن أكاليل الغار التى حظيت بها هذه  
الليلة ! كم تبدولنا انتقادات هؤلاء ضعيفة واهية  
قبل أن نراها ، وأنت وحدك المنتصر !

باريس — إيزابيلا ...

إيزابيلا — باريس ! إن مصر قد دخلت فى  
النسيان ! مدينتك التى صفقت لك وهنت هتاف  
الاعجاب هى قرينتى ! مجدك وسماذك يتركان لى

ونفيت عنه القرون التى تذود عنه ، وسفقت  
بناصية ملك الصحراء ! ...

( تيدو إيزابيلا ، وقد خلعت رداء أبى الهول ، تختال  
فى ثوب دقيق يتوهج بدنها تحت ... تدنو منه ببطء ... وهى  
ليست إلا عاشقة عصرية تقرب من عاشقها )

### المشهد الثانى

إيزابيلا ، باريس ، ارجائى

إيزابيلا — ياله من ظفر ! وياله من مساء !  
إنك لم تقدم إلى مقصورتى لترانى ! ولا تزال تخطر  
هنا !

باريس — إيزابيلا

إيزابيلا — أصغ إلى ... أحس قلبى يدق هذا  
المساء دفقا غنياً ، يخيل إلى أن وجودى كله يهتز  
ها إن أبيانك استجالات طيوراً ضخمة مشتتة  
تخفق على صدرى المارى ، لقد رددت على  
رقة جنائى !

باريس — ( رانياً إليها )

أيتها الحبيبة : يا حبيبة لحنى ودى ! يا خالفة  
عقربى ! هو كذلك

إيزابيلا — هل تحس أية غبطة منيرة ، بهذه  
المودة التى تجل عن الوصف للآلهة ؟ فى كان ذلك ؛  
وأنا السبب المؤثر . أنا أسى معك للوصول إلى  
فوزك الباهر ! إن عشيقه شاعر ، وأمة نظمه  
وطرقه ، تود فى وقت واحد أن تكون خليلته التى  
يصطفها ، ومبدعة عقربته التى توحى إليه ؛ وإنما  
لتكون الأقوى نفوذاً تقنعك الانتصار بعد  
الانتصار كالأزهار  
( تضعه إليها )

تمال ! فلندخل مثوانا ! فالجد آب إليك فى  
جهاد يوم واحد . هذه الساعة ساعة الحب ،  
وسريرنا الفسيح العميق ينادينا ... تمال نم بجانبى  
حتى الفجر

إيزابيلا — استقبله ، فهذه ساعة الرحمة قد  
دنت : حيث الشاعر كالمحارب الحنون ، إذا  
اقتطف أكليل الغار أخذ يستنشقها . إننى عائدة .  
( تنطق إيزابيلا وارجانتي )

### المشهد الثالث

باريس ، الصحافي ، والعمال  
الصحافي — أريد أن أسألك يا سيدي عن  
شعورك وعمّا أثر فيك مشهد هذا المساء ؟  
باريس — ( بوقاحة )

كنت أظن يا سيدي أنك جئت قبل الوقت ،  
ولكنك الآن جئت بعده ...  
الصحافي — هذه بعد الأولى ، ولكنه كان  
مساء غريباً رائعاً ، والجمهير تريد أن تعرف عند  
يقظتها ما أوحى اليك هذا الفوز  
باريس — حقاً !

الصحافي — ( يحاول أن يكتب بقلم صغير )  
ستقول لي أليس كذلك ؟ ماذا أحسست إذ  
انتصرت ؟ وحين ألغيت المسرح بتأرجع انغماتك ؟  
أين كنت أيها المعلم متوارداً عنا ؟  
باريس — لم أكن في مكان ؟ كنت أدخن  
مع العمال

الصحافي — أي شعور عمراك ؟  
باريس — كنت كثيرًا  
الصحافي — أكنت كثيرًا حين هزتنا  
نعمتك ؟ ثم تكذب ؟

باريس — أ كنت لأني وجدت أنها لم تبلغ  
ما أردت ؟ أ كنت لأني أرى كل شيء على الأرض  
حيًا ومجدًا وانتصارًا ، وأنها ليست بشيء منها  
الصحافي — لا يمكنني أن أرى ذلك !  
باريس — كل ما تخيله يسحر حالمًا ، والمأساة

حق ذلك : لقد انهزم الآلهة الحجرى من الأفق  
باريس — لم تتكلمين بهذه اللهجة ؟ لم  
تذكرينه بي ؟

إيزابيلا — ( تفيض عليه )  
لأننى أعبدك ، ولأن الليل جميل بهي ! لأن  
خصائل شمعك تعجبني مرخاة على عنقك . ولأن  
قلبك يدق فيملاً الفراغ ؛ ولأنى أصبحت ولا أخشى  
منافسًا !

ضمنى إلى قلبك ، ضمنى شديداً !  
انظر ! ها هو المسرح لا يزال يخفق لفوزك  
الفنى . أنا لا أحب فيك مجرد عبقريتك العزيزة  
على ، ولكنى أحبك أنت يا باريس ! أحب عينيك  
المفكرتين الهائمتين فى اللانهاية ، يسكن فيهما الدمع  
تحت قبلانى . ومن كل حياتك التى لا تخمد ،  
وعبقريتك الساطعة أحب فك

باريس — إيزابيلا !  
إيزابيلا — أنا عالة أنك ستذهب يوماً عني !  
قال رجل بقضى الحياة عاملاً على الفرار من بين أذرعنا !  
( يتعانقان )

تأمل ... فلا تزال عينك تفر من قلبى !  
آه ! إن أطول قبلة فى العالم تنتهى سريعاً !  
هنالك إنسان ...  
( يدنو إنسان مع ارجانتي )  
ارجانتي — ( ميماً باريس )

هذا صحافي يطالب بزيارتك للمرة الثانية بعد  
أن صرفناه مرتين

باريس — من أين ؟  
ارجانتي — من صحيفة « المأساة »  
باريس — لا ! إن استقبله ، ولا أريد أن أرى  
أحدًا !

## المشهد الرابع

— باريس واقفا أمام أبي الهول —

باريس — ما أنت إلا من ورق شاحب اللون  
بعيداً جداً عن مصر ، وبعيداً عن المشهد الذي  
يخلق الاضطراب . ولكن عند ما أفق وحدي  
بجانبك في المساء ، يجيل إلى أنني واقف أمام أبي الهول  
الحقيقي . . . أبي الهول المصري الذي يسترسل  
لأفكاره تحت إكابه المرصع بالججوم دون أن يبالي  
بأرزائنا !

هأنذا قد قهرتك أيها الوحش الصامت !

إنني أحياء . . . أنظر إلى . . .

إن الذين ماتوا هم كل الذين وقفوا على أسرارك  
العظيمة . . . ولكنك كلمنتي ! وها أنا أحياء على  
الأرض ، وإنني أكاد أرى هنيئة مارسيللوس  
لا فظاً أنفاسه ، ماداً ذراعيه نحوي ، تتأني على  
وجهه الأسمر شماعات الموت ممتزجة بأشعة القمر  
أميت مارسيللوس ؟ لا ! ولكنه مغتنى عليه  
إنك انجيبا بأخي الميت في أخيك الحي ! صوتي  
يرجع إلى صوتك الخالد ، وأسمع في قلبي القوى  
قلبك الحزين يخفق

( يصبح فريسة للاضطرابات )

ولكن لم هذا الفراغ ؟ وهذا التأثير ؟ هأنما  
وحدي معه وهو وحده معي . نحن وحدنا كما كنا  
من قبل . إنني أسمع هزيم الرياح بين أشجار النخيل  
في السهول التي لا يخرقها سبيل

بلى ! هذا هو ذات الأريج ، إن الانسان

— يوم بدأ يتألم — وحينما نزل يحمل معه صحراؤه

ريح مصر الباردة تهب عنيفة . . .

لا لا : أنا لا أستطيع أن أبقي بدون (إزايلا)

لا أستطيع .. إزايلا . . . إنها لا تسمع تدائي . . .

ليست كبيرة إلا في أعماق قلوبنا

الصحافي — لماذا لم تطل على الناس حين  
قطعوا الأكف تصفيقاً ؟

باريس — وما صني عندهم ؟

الصحافي — تحييتهم ! وترى شعباً يموج إعجاباً  
بك . لماذا لم تجيء حين تصاعد هديرهم

باريس — لأنهم كانوا أكثر !

الصحافي — ولكن جميعهم يحيونك

باريس — أنحال ذلك ؟

الصحافي — أنني أو من . . .

باريس — أما الأسود فأنهم يصطفون لها حين  
تفترس مرابيها . وإذا كان الربى هو الذي سيسيطر  
على ملوك الصحراء فالشعب يصيح خجلاً ! أتريد  
منا أن نزعج أنفسنا للذين يأتون لينظروا إذا كنا  
أكلنا ؟

الصحافي — ولكن ألا تستثنى أحداً ؟

باريس — أجل ! بعض نفوس صافية يقودها  
حب الجلال وحده إلى النور . ولكن هذه النفوس  
تفضل — بغير أمل — أن تهتف للشاعر دون  
أن تراه

الصحافي — أهذا كل شيء ؟

باريس — هذا كل شيء !

الصحافي — أهذا كل ما يوحى اليك مثل  
هذا المساء ؟ أما عندك شيء آخر لنقله ؟

باريس — لا شيء !

الصحافي — مالي إذن إلا أن أنصرف !

باريس — نعم ! هذا هو كل شيء

( يذهب هذا الصحافي مضطرباً والعمال يهتفون بنحيم  
أبي الهول )

لا ! لا نسوه ! دعوني وحدي معه : وحدي ..

كم يبتنا من الأبعاد ؟ ... ولسكن ما أدنى  
هذا الظلام الذى لا يُرَد !

كفى ... دعنى أحيأ هكذا يا إله الألم !

صوت أبى الهول — تمالوا ...

باريس — الصوت ذاته دائما ...

أبو الهول — تمالوا ...

باريس — النداء ذاته ، ومع هذا أرانى وحيدا  
هنا ... لا أريد أن أسمع تداءك أيها الرسول للعين

أبو الهول — لم أقل الحقيقة إلا له

باريس — كذب وافتراء . كلامك ليس

حقا ، ولا يمكن أن يكون حقاً

أبو الهول — باريس ! إن مارسيللوس وحده

هو الذى أدرك السر

باريس — النجدة ... أغيثونى !

يتلاشى المشهد والمنلون والمسرح .... لا شيء إلا  
الصحراء وأبو الهول

### المشهد الخامس

أبو الهول . باريس . إيزابيلا

أبو الهول — قضى مارسيللوس زهرة مضطربة  
وبما أن الحقيقة كانت تغفل فأنا قد أبديتها !

باريس — أبو الهول

أبو الهول — إنك لن تغلب على رسالتى التى

هى الموت . ما أنت إلا جاهل لأنك لا تزال نحيا !

وربما كنت حين حمت أسرارى الى مارسيللوس

قبل صرعه ، ربما كنت مخدوعا

سرى ! وما هو هذا السر الأكبر ؟ أنا وجدته

ولست بالله . إننى خُصتُ كل الزهو الانسانى ،

حتى إذا تأملت فيه لم أجد إلا التراب !

باريس — ماذا تقول !

أبو الهول — إلا التراب ... هنالك الأفق ،

الآمل المجنون ، وقد يكون الأمل على حق . لا أرى

إلا التراب والموت

السما قد احتفرت جناحي الماطلين . أنا لم

أصعد الى الأعلى ، أنا لا أدرى شيئاً . لست إلا

كائنات أرضياً مثلك . وإزاء « أبى الهول » نفسه

« أبو الهول » جديد يبدأ . فلأرض تقول

« الفناء » والسما تعطى القضاء

باريس — لا لا ! إنك سلبتني سرا يتعلق بى .

إننى لن أموت هنالك ! سأحيا ! لست واحداً من

أولئك الذين يجب محاباتهم

أبو الهول — إنى تبينت وجهك حين تكلمت

ولحت مستقبلك وفتوتك ومواهبك ...

( باريس صائحا من الألم )

ولكن مارسيللوس لأى سبب انتزعته !

أبو الهول — ( بعد صمت عميق )

عفواً ! لكونى حطمت قلباً فى زهو الحياة .

إن « مارسيللوس » المسلوب « يبيت من » شعر

فرجيل « لم يدفعه الى الموت إلا سبب قدسى . إنى

بقتلى إياه قد آثرته على غيره . وقد أكون أحسنت

فى إجابة رغبة كليكما باعطائه الموت وإبقائك فى عالم الحياة

أذكر أيضاً يا باريس ! لقاءنا تحت الأفق !

فليمتزج مع كل حب عنيف فيك أثر غيابة الغريب

عنك . إننا لن نتلاقى . نخيل إلى أن كواكب مصر

وسماءها تدعونى إليها . ولسكن ، على الأقل ، تبصر

عينك هنا نظرى الزمردى ، ولحدى الحجرى

الوداع ...

( تتوارى الصحراء وأبو الهول ، وتظهر إيزابيلا ،

وتقع على باريس ... وباريس يستيقظ كمن أزعجه حلم )

باريس — إيزابيلا ! أعطينى عينيك ، فك أيضاً !

تعالى ... لنمش فى موكب الحياة ...

إيزابيلا — الحب وحده هو قاهر الموت ...

( يدهان متعاقبين )

— الستار —

( تمت الرواية )